رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الجنة

الخلفاء الراشدون

أعمال وأحداث

ويتضمن عرضا لأحداث الفتنة التي أودت بعثمان
من خلال نقد الروايات على طريقة المحدثين

بقلم

د. أمين القضاة

دكتوراه في الحديث وعلومه من جامعة الأزهر

الاستاذ في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية

٢٠٠٤



الخلفاء الراشدون

أعمال وأحداث

ويتضمن عرضا لأحداث الفتنة التي أودت بعثمان
من خلال نقد الروايات على طريقة المحدثين

بقلم
د. أمين القضاة
دكتوراه في الحديث وعلومه من جامعة الأزهر
الاستاذ في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية

٢٠٠٤



طبعة الفرقان الثالثة

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية
(٦٥٤ / ١٠ / ١٩٨٩)

رقم التصنيف : ٩٢٢,١

المؤلف ومن هو : أمين القضاة

عنوان الكتاب : الخلفاء الراشدين

الموضوع الرئيسي: ١- الديانات

بيانات النشر : عمان - دار الفرقان

رقم الاجازة المتسلسل: ٥٨٤/ ١٠/ ١٩٨٩

تاريخ تقديم المخطوطة: ٢/ ١٠/ ١٩٨٩

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل المكتبة الوطنية



الإدارة والمكتبة :
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
هاتف : ٤٦٤٠٩٣٧ - ٤٦٤٥٩٣٧ - فاكس ٤٦٢٨٣٦٢
ص.ب ٩٢١٥٢٦ - عمان - الأردن
إربد - مقابل جامعة اليرموك - تلفاكس ٧٢٧٦٥٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا،من يهد الله فلا مضل له. ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، خير نبي أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون.

وصلى الله على سيدنا محمد، سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تقـــديم

كان أول تأسيس الدولـة الإسـلامية بقيـادة نبينـا عليـه الصـلاة والسـلام حينما نزل المدينة مهاجراً من مكة، وأرسى قواعدهـا وشـرع لها أحكامـها ونظمها وقوانينها التي تكاملت عبر عشر سنوات من الهجرة بشـهادة القـرآن الكريم ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾.

وترك الرسول صلى الله عليه وسلم للمسـلمين مـا إن تمسـكوا بـهما لـن يضلوا بعده أبداً، كتاب الله وسنة نبيه، ثم اختار جوار ربه عز وجل في السـنة الحادية عشرة للهجرة، ليتولى المسؤولية من بعده خيـار أصحابـه رضـوان الله عليهم، ويحملون الأمانة، وأي أمانة.. إنها أمانـة الحكـم ومسـؤولية الخلافـة، خلافـة رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم، في تدبـير شـؤون هـذه الدولـة الفتيَّة، ويسير بها نحو تحقيق الأهداف التي وجـدت مـن أجلـها وعلـى رأسـها تطبيق شرع الله، وتبليغ الدعوة وحملها إلى الناس كافة.

أجل، لقد كانت المهمة غاية في الصعوبة، فقد أقبلت الفتن كقطـع الليـل المظلم يتبع آخرها أولها. وكان صلى الله عليه وسلم يعلم تمام العلم عِظَمَ هـذه المسؤولية التي سيورثها أصحابه، ولذلـك فقـد أعـد لهـا العـدة المناسـبة.. لقـد كانت هذه العدة رجالاً رباهم على يديه في محضن النبوة، ومدرسـة ارسـالة، فاقتبسوا من هديه، وساروا على نهجه وترسموا خطاه، فقـاموا بواجبـهم خـير

قيام،ونجحوا في تحقيق مهمتهم أعظم نجاح.. وأكملوا الطريق الذي اختطه لهم نبيهم عليه الصلاة والسلام. فواصلوا المسيرة.. وأتمّوا البنيان.. بنيان الإسلام العظيم.

ومع هذا النجاح المؤزر، وذلك البنيان الشامخ، فإن صَفوَ الحياة لا يخلو من كدَر، وحركة الزمان لا بد أن تكون بين مد وجزر. فالصراع بين الحق والباطل وجد منذ أن وجدت الخليقة على وجه الأرض، وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن هنا كان لا بد لهؤلاء الخلفاء أن يخوضوا هذا الصراع إلى أن ينتصر الحق على الباطل. وفعلاً فقد تحقق لهم ذلك رضوان الله عليهم.

وأحداث التاريخ مهما كانت بادية للعيان فلا بد أن تبقى بعض زواياها فيها شيء من الخفاء ــ وليس الخفاء كله ــ وهذه الزوايا مجال كبير يخوض فيه المؤرخون والمحللون.ومن الطبيعي أن يخرجوا بنتائج متغايرة متفاوتة نتيجة لتفاوت العقول واختلافها في نظرتها إلى الأمور وتفسيرها لها.

ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، بل تعداه إلى وجود تفسير هادف لكثير من أحداث التاريخ يتصف بالتحامل واللاموضوعية، وهو حلقة ضمن سلسلة يقصد بها تشويه صورة الإسلام، وصورة قادة المسلمين وعظمائهم وعلمائهم، حتى تهتز ثقة الأمة بهم، فإن تم لهم ذلك فقد حرموا الأمة من وجود نماذج حيّة ذات وجود فعلي يمكن للأمة أن تتخذها قدوة في مختلف شؤون حياتها.

وثمة هدف آخر وهو محاولة لإقناع الناس أن الإسلام لم يطبق بشكل

عملي، ولا حتى في عصر الخلفاء الراشدين، إذ أنه دين وتشريع مقبول من الناحية النظرية،ولكن من الناحية العملية ليس كذلك.

ولعل المستشرقين يركزون كثيرا في كتابتهم للتاريخ على هذين الهدفين، وليت البلاء يقف عند هذا الحد، ولكنه تعداه إلى أبناء المسلمين من الذين تتلمذوا على أيديهم وقرأوا كتبهم دون تمييز بين النافع والضار، الصحيح وعدمه.فاعتبروا كتبهم المصادر الوحيدة الموضوعية وكأن ما فيها تنزيل من حكيم حميد!!!

وإمعاناً في الأذى والبعد عن الموضوعية والمنهجية في البحث، فقد راحوا يقتنصون روايات مكذوبة يمكن لهم أن يفسروها حسب أهوائهم، ويتعامون عن روايات أخرى صحيحة لأنها ليست في صالحهم.

ومن هنا رأيت أن اقدم هذا الكتيب كدراسة منهجية مستخدماً فيها نقد الروايات على طريقة المحدثين، وخاصة فيما يتعلق بالفتنة التي أودت بعثمان رضي الله عنه.

ذلك أن المؤرخين جميعاً قديما وحديثاً يجمعون على أن يداً خفية كانت وراء تحريك المتمردين وإشعال نار الفتنة بين المسلمين.ولكنهم يختلفون في تفسير هذه اليد الخفية وتحديد هويتها. فمنهم من يرى أنها أيدي الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين (علي وطلحة والزبير وعائشه) وهذا هو الرأي الذي يتبناه المستشرقون وأتباعهم.

ومنهم من يرى أنها يد اليهودي عبد الله بن سبأ. هذا وقد استطعت بفضل الله أن أثبت الرأي الثاني، وأن الروايات التي ترى غير ذلك ما هي إلا

روايات ساقطة من حيث رواتها، ومن حيث اضطرابها فلا يعوّل عليها، ولا يمكن أن تعطينا الصورة الصحيحة التي يطمئن إليها الباحث.

هذا وقد جعلت دراستي هذه مختصرة جداً، مع إعطائها صورة متكاملة عن الخلفاء الراشدين وأهم أعمالهم في ضوء الروايات المعتبرة حسب ميزان الحديث.وتمشياً مع هذا المنهج في الاختصار، لم أذكر الآراء المخالفة والرد عليها بشكل تفصيلي ـ على الأغلب ـ مكتفياً بإعطاء الصورة الصحيحة، تاركاً لذكاء القارئ الاستنتاج والنظر فيما عدا هذا التصور الصحيح.

وختاماً أرجو أن أكون قد وُفّقت في عرض سير هؤلاء العظماء وأخبارهم ، وتناولت بالدراسة أهم الأحداث، وأبرز الفتن التي حصلت في عهدهم بشكل موضوعي إن شاء الله، والله من وراء القصد.

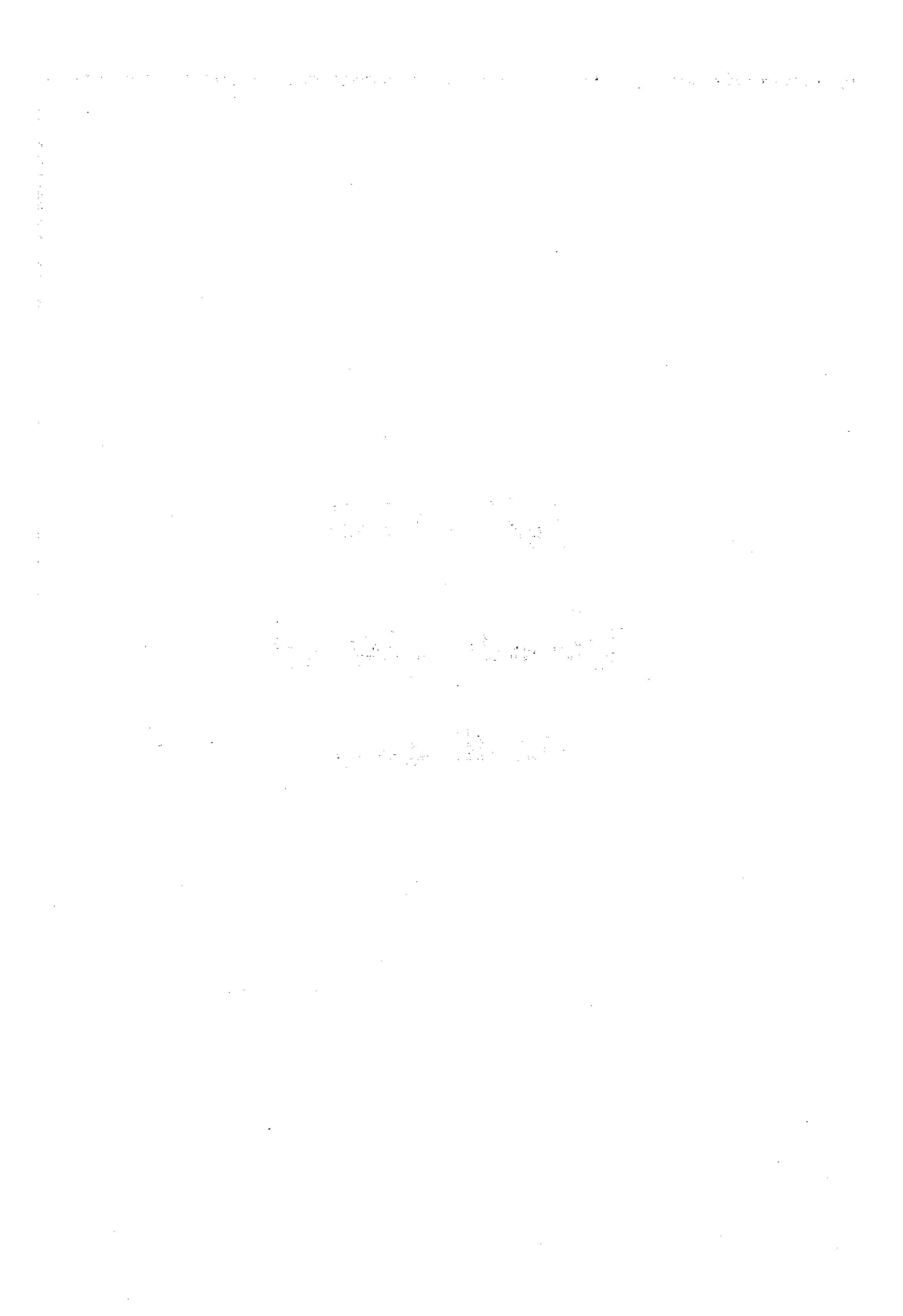
المؤلف

د. أمين القضاة

الخليفة الأول

أبو بكر الصِدِّيق

رضي الله عنه



الخليفة الأول أبو بكر الصديق

رضي الله عنه

اسمه :

عبد الله بن أبي قحافة، واسم أبي قحافة: عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة[1].

وأمه:أم الخير سلمى بنت صغير بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة[2].

ويلقب بالصّديق والعتيق والأواه.

أما الصديق: فلأنه أسرع إلى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل أمر يخبر به عن ربه.يروي ابن سعد بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة أسري به:قلت لجبريل:إن قومي لا يصدقوني فقال له جبريل:يصدقك أبو بكر وهو الصديق[3].

وروى ابن هشام عن الحسن البصري حديثاً مرسلاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم حين وصف لأبي بكر بيت المقدس قال أبو بكر: صدقت أشهد أنك رسول الله وكلما وصف له منه شيئاً قال: صدقت أشهد أنك

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام ٢٣١/١، وانظر أيضاً:الإصابة في تمييز الصحابة ١٥٥/٦

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ١٦٩/٣

(٣) المرجع السابق. نفسه.

رسول الله حتى إذا انتهى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت يا أبا بكر الصديق فيومئذ سماه الصديق[1].

ولا تنافي بين الروايتين ـ كما نلاحظ ـ فإن جبريل أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بموقف أبي بكر، وتحقق ذلك الموقف حينما أخبر الخبر ووصف له بيت المقدس.

وأما العتيق: فقيل هو بمعنى الجميل، والغاية في الجود والخير وقد امتاز أبو بكر بهذه الصفات، وقيل : لقبه بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، كما ذكر ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت: لم سمي أبو بكر عتيقاً؟ فقالت: نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هذا عتيق الله من النار[2].

وأما الأواه: فسمي بذلك لرأفته ورحمته[3] فقد كان أبو بكر رؤوفاً بأصحابه، رحيماً بهم، أقتبس ذلك من نبيه عليه الصلاة والسلام.

إسلامه:

يرى بعض المؤرخين أن أبا بكر أول من أسلم.فقد روى ابن سعد عن

---

(١) السيرة النبوية ، ابن هشام ٢/٣٤

(٢) الطبقات الكبرى- ابن سعد٣/١٧٠

(٣) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ٣/١٧٠ ـ ١٧١، وانظر أيضاً:الإصابة ٦/١٥٦ ـ١٥٧، وأخرجه الترمذي/ المناقب. انظر: تحفة الأحوذي ١٠/١٦٥ رقم ٣٧٦٠.

جماعة من الصحابة أنهم قالوا:أول من أسلم أبو بكر الصديق[1].

ولكن ابن هشام[2] عده بعد علي وزيد بن حارثة،ولذلك فالأولى أن نقول:بأن أول من أسلم من الأحرار البالغين أبو بكر ومن الصبيان علي ومن الأرقاء زيد بن حارثه، ومن النساء خديجة رضي الله عنهم أجمعين.

ولقد كان أبو بكر رضي الله عنه سريع الاستجابة لدعوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم، يروي ابن هشام عن الرسول عليه السلام أنه قال: (ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر ابن أبي قحافة ما عكم (ما أحجم) عنه حين ذكرته له وما تردد فيه)[(3)].

صفاتــه:

(أ) الصفات الخِلْقية:

وصفته ابنته عائشة رضي الله عنها فقالت: (رجل أبيض، نحيف، خفيف العارضين، أجنأ[4]، لا يستمك أزارة يسترخي من حِقْويه ـ لشدة نحافته، معروق الوجه ـ أي قليل لحم الوجه، غائر العينين ناتئ الجبهة ـ أي بارزها، عاري الأشاجع ـ أي الأصابع)[5].

---

(١) الطبقات الكبرى ابن سعد ٣/١٧٠ ـ١٧١، وانظر أيضاً: الإصابة ٦/١٥٦ ـ١٥٧

(٢) ابن هشام ١/٢٣١

(٣) السيرة النبوية ١/٢٣٢

(٤) الأجنأ هو من أشرف كاهله على صدره.انظر: القاموس المحيط مادة (جنأ).

(٥) طبقات ابن سعد ٣/١٨٨ ، والاصابة ١٥٦

(ب)الصفات الخُلُقية:

أما صفاته الخلقية فتعدادها يطول، فقد كان صديقاً، أوَّاهاً، شديد الحياء كثير الورع، حازماً مع رحمة،كان تاجراً يحفظ شرفه وكرامته وكان غنياً بماله وجاهه وأخلاقه ، لم يُؤثر عنه شرب الخمرة لسلامة فطرته وسلامة عقله، ولم يؤثر عنه عبادة الأصنام، بل كان يتبرم منها ولم يؤثر عنه الكذب، بل أثر عنه الأخلاق الكريمة، والخصال الحميدة.

وكان، رضي الله عنه، صديقاً حميماً للرسول صلى الله عليه وسلم،وأغلب الظن أن تلك الصحبة كانت للتقارب في المظهر وحسن المسلك،وسلامة الفطرة، وبُعد النظر، ورجاحة العقل، لقد حاز من الخلق أعلاه ومن الإيمان أكمله بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه وُزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة فرجح إيمان أبي بكر[1]

مكانته في قومه:

لقد كان أبو بكر رجلاً محبوباً عند قومه، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً ذا خلق ومعروف. حليماً،كريم النفس، يجود بماله ووقته،فنال حب الناس وثقتهم به،وتقديرهم له.

وكان رجال قومه يأتونه ويستشيرونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته[2]

---

(١) انظر : مسند الامام أحمد ٢٥٩/٥، وفصائل الصحابة، الامام أحمد ٤١٨/١

(٢) سيرة ابن هشام ٢٣٢/١ وانظر أيضا: الاصابة ١٥٧/٦

وكانت إليه الاشناق في الجاهلية، وهي الديات التي يتحملها عمّن يتقرب بذلك من العشيرة، فكان إذا حمل شيئاً من ذلك فسأل فيه قريشاً مدحوه وأمضوا حمالته، فإن أحتملها غيره لم يصدقوه[1].

وهذا ـ ولا شك ـ يدل على مكانته عند عشيرته حيث كان يتصرف باسم العشيرة فتمضي العشيرة تصرفه وتقدره تقديراً وتوقيراً له وهي ميزة لا تعطى إلا لسيد القوم أو من كان في مكانة مرموقة عندهم.

فلقد كان سيداً في الجاهلية،سيداً في الإسلام، شريفاً في الجاهلية شريفاً في الإسلام.

إيمانــــــه:

لقد كان في الصحابة من هو أشجع من أبي بكر، وأعلم من أبي بكر ولكن لم يكن فيهم من هو أكمل إيماناً من أبي بكر، ولقد أشار القرآن الكريم إلى مواقف كثيرة من مواقفه في قوله تعالى: ﴿ **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى** ﴾[2]

وفي قوله تعالى أيضاً: ﴿ **وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى، وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى** ﴾[3]

---

(١) الاصابة ١٦٠/٦، والاشناق جمع شنق محركة، وقيل الارش. انظر: المحيط مادة (شنق).

(٢)سورة الليل آية ٤- ٧ . وانظر سبب نزول هذه الآيات،تفسير القرطبي ٨٢/٢٠

(٣) سورة الليل آية ١٧- ٢١

وقوله أيضاً﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي توعدون** ﴾[1].

وقوله أيضاً : ﴿**ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا**﴾[2].

لقد آمن أبو بكر رضي الله عنه برسول الله صلى الله عليه وسلم إيماناً لم يسبقه إليه أحد، فلم يشك ولم يتردد في إجابة دعوته صلى الله عليه وسلم فما دعا الرسول صلى الله عليه وسلم أحداً إلا نظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر.

يقولون إن أبا بكر كان تاجراً ومن شأن التاجر الحذر، ولكنه رضي الله عنه لم يتردد في إيمانه برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يخف على ماله مستقبله، ومستقبل تجارته، بل إنه حصر همه في شيء واحد وهو أن صاحبه محل للصدق والإيمان.وكان شعاره فيه (ما جربت عليه كذباً) ويتجلى هذا الإيمان في كل مواقفه رضي الله عنه.

**ففي حادثة الإسراء، حينما كذّب المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا أن يقنعوا أبا بكر بالعدول عن دعوته،فيهرولون إليه قائلين: أنظر ماذا يقول صاحبك. يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس،وصلى فيه ورجع إلى مكة. فقال أبو بكر : (والله لئن كان قد قاله فقد صدق إنه ليخبرني أن الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار،

---

(١) سورة فصلت : آية ٣٠

(٢) سورة التوبة : آية ٤٠

فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه)[1].

**وفي غزوة بدر حين أخذ الناس يستعدون للقاء عدوهم، توجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ربه وأخذ يدعوه، ويُلحَّ في الدعاء وهو يقول: (اللهم إن تهلك هذه العصابة، فلن تُعبد بعدُ في الأرض.. اللهم نصرك الذي وعدتني.. حتى يسقط الرداء عنه. فيأتي أبو بكر إليه ويقول: يا رسول الله هون على نفسك، إن الله منجز لك ما وعد.والله لن يخزيك الله أبداً)[2] لقد كان إيمان أبي بكر ويقينه بوعد الله عظيماً، حتى إنه يقسم بالله أن الله منجز وعده بالنصر.

**ويوم الحديبية بعد الصلح (٦هـ) الذي كان مجحفاً ـ حسب الظاهر ـ بحق المسلمين إذ حرمهم من دخول مكة، وهم في حالة قوة، يتردد المسلمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يأمرهم بالتحلل من الإحرام، حتى أن عمر يقول للرسول صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل، ألسنا المؤمنين وهم المشركون فَلِمَ نعطي الدنّية في ديننا؟ويذهب عمر إلى أبي بكر فيقول له:أليس قد وعدنا النبي صلى الله عليه وسلم بدخول مكة فيقول له أبو بكر، بلسان المؤمن برسوله إيماناً مطلقاً: أو قال لك عامك هذا؟ إلزم أمره فإنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً[3].

---

(١)سيرة ابن هشام ٣٤/٢

(٢)أخرجه مسلم:الجهاد ١٣٨٤/٣ رقم ١٧٦٣، ومسند أحمد ١م٣٠،٣٢.

(٣)أخرجه البخاري،كتاب الجزية ٢٨١/٦ رقم ٣١٨٢، وصحيح مسلم، الجهاد ١٤١٢/٣ رقم ١٧٨٥

** ويوم التحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، فوجئ الناس بهول الحدث، وفُجع المسلمون بالخبر، فتزلزلت القلوب، والتهبت المشاعر،حتى نسي الناس مسلمات الأمور، فكان الحازم منهم - كعمر بن الخطاب - لا يكاد يصدق أن محمداً قد مات. فيتجلى موقف أبي بكر العظيم، المنبثق من إيمان راسخ رسوخ الجبال،لا تزعزعه الأعاصير مهما اشتدّت، ولا تحركه النوازل مهما عظمت.فلا ينطق إلا بالإيمان، ولا يصدر عنه إلا الحق. فيقول: (أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت..(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قُتلَ انقلبتم على أعقابكم..) قال عمر: (والله ما أن سمعت أبا بكر تلاها حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات)[1]

إيمان قوي وثقة غير محدودة وشعور فياض يتجلى في الدعوة وفي الإسراء وفي بدر وغيرها من المواقف.

لقد كان إيمان أبي بكر رضي الله عنه أعمق الإيمان وأعلاه، حتى فاض عليه نوراً وهدى.. لقد كان عظيماً في شدته ولينه ورقته، وفي كل تصرفاته.

وإذا أردنا أن نتعرف على سر هذه العظمة، فإنا لا نجدها في كثرة صلاته وصيامه وقيامه، فقد كانوا يصلون كما يصلي، ويصومون كما يصوم،

---

(1) ابن هشام - السيرة النبوية ٤/٢٢٤

ويقومون كما يقوم، ولكن السر في شيء وقر في القلب، شيء امتزج بقلبه وروحه. رضي الله عنه، وهو قوة الإيمان، ذلك الإيمان الذي لو تجسم في قلبه حتى لو وزن بإيمان الأمة لرجح، هذا الإيمان الذي كان يصدر عن يقين كامل، لأنه أسلم قلبه ووجه لرب العالمين، فآمن إيماناً صدق عليه قول الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي :

(كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها)[1].

لقد خرج الصديق عن نفسه وماله لربه فصار رجلاً ربانياً بحق، أنظر إليه حين يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وهل خرجنا من الكفر إلى الإيمان إلا بك.

رحم الله أبا بكر ورضي عنه في الأولين والآخرين[2]

تضحيته:

لقد ضحى أبو بكر، فكان قمة في التضحية والبذل.. ضحى بماله، وضحى بنفسه وهذا البذل هو النتيجة الطبيعية للإيمان، فإن الإيمان إذا عمر قلب إنسان جعله يستعذب كل شيء يقدمه في سبيل الله، وعلى قدر الإيمان يكون البذل والعطاء.. فإن إيمان أبي بكر الذي بلغ القمة، لا بد أن يسفر عن تضحية وبذل وعطاء يبلغ القمة أيضاً.

---

(١)أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، انظر: فتح الباري ٣٤١/١١ رقم ٦٥٠٢.

(٢)نظرات في السيرة، الأمام حسن البنا، ص ٣٩ وما بعدها.

ومن تضحيته في سبيل الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قريشا حاولت الإعتداء يوماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام أبو بكر يدفعهم عنه وهو يقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله[1] فتحول حقدهم إلى أبي بكر يضربونه ويشدون شعره، حتى أغمى عليه فلما أفاق قال: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولون له: بخير، فيقول: والله لا ذقت طعاماً ولا شراباً حتى أرى رسول الله ولم تهدأ نفسه حتى اطمأن على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وضحى بنفسه حين هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش تبحث عنهما تريد قتلهما، وقد جعلت جائزة عظيمة لمن يعثر لهما على أثر فقد عرض نفسه للقتل والهلاك ، رجاء أن يفوز بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وحينما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم دخول غار ثور يُصِرُّ أبو بكر على دخوله أولاً، خوفاً من أن يكون فيه دابة تؤذي الرسول صلى الله عليه وسلم[2].

وأما تضحيته بماله فهي كثيرة: فقد اشترى سبع رقاب وأعتقهم في سبيل الله لما كان ينالهم من الأذى[3]

حتى أن أباه قد لامه على ذلك، فقال له يا بني إني أراك تعتق رقاباً

---

(١)أخرج البخاري بهذا المعنى حديثاً في فضائل الصحابة ٢٢/٧،١٦٦/٧

(٢)السيرة النبوية، ابن هشام ٩٣/٢

(٣)سيرة ابن هشام ٢٧٨/١

ضعفاء، فلو أنك أعتقت رجالاً أشداء يساعدونك، فيقول له أبو بكر: يا أبت إنما أريد وجه الله عز وجل.

ويوم الهجرة يأخذ معه ماله كله،لينفقه في سبيل الله، من أجل نجاح الهجرة، وحين ندب الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين للتبرع من أجل تجهيز جيش العسرة (تبوك) قال عمر: لأسبقن اليوم أبا بكر فجاء بنصف ماله، وإذا بأبي بكر يجيء بماله كله، فيقول له الرسول صلى الله عليه وسلم: ما أبقيت لهم يا أبا بكر؟ فيقول أبقيت لهم الله ورسوله[1].

وقبيل لحاق الرسول صلى الله عليه وسلم يشهد له شهادة تغني عن ذكر تفصيلات هذه الأحداث حيث يقول: (ما نفعني مال أحد ما نفعني مال أبي بكر) ويقول أيضاً:(إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر)[2].

ويكفي أبا بكر فخراً أنه حينما أسلم كان ثرياً فقد كان له أربعون ألف درهم[3] وحينما تولى الخلافة جعل ماله كله في بيت مال المسلمين وقال: كنت أتجر فيه فلما وليت أمر المسلمين شغلت عن التجارة والطلب[4] ولا غرو فقد مات أبو بكر كما تقول عائشة وما ترك ديناراً ولا درهما[5] فقد جعل ذلك كله في خدمة المسلمين.

---

(١) أخرجه الترمذي، المناقب، وقال حديث حسن صحيح: أنظر: تحفة الاجوذي ١٦١/١٠ رقم الحديث ٣٧٥٧ وأخرجه الآمام أحمد في فضائل الصحابة ٣٦٠/١

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة. انظر: فتح الباري ١٢/٧ ، ٢٢٧

(٣) الاصابة ١٥٧/٦

(٤) كتاب الزهد، الامام أحمد بن حنبل، ص ١١٣

(٥) المرجع السابق ، ص ١١١

إشارات الرسول صلى الله عليه وسلم تفضيل أبي بكر على غيره:

لم يُرد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعين خليفة له من بعده لحكمة اقتضتها طبيعة هذه الدعوة وتطبيق منهج رسمه القرآن الكريم ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ وأي أمر أهم من الخلافة، فكانت سنة النبي صلى الله عليه وسلم بجعل هذا الأمر شورى بين المسلمين، إلا أن ذلك لا يعني عدم تقديم النصح للمسلمين،كيف لا وهو نبيهم ومرشدهم، وكان ذلك بإشارات نبوية أدركها بادئ ذي بدئ بعض الصحابة ثم ما لبث باقي الصحابة أن أدركوها رضوان الله عليهم. ومن هذه الإشارات:

(أ) استخلافه بالصلاة حين أشتد المرض بالرسول صلى الله عليه وسلم فقد أمر بذلك. روى الترمذي[1] عن عائشة (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس.فقالت عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يُسمع الناس من البكاء، فأمر عمر فليصل بالناس.ففعلت حفصة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكن لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصلّ بالناس. فقالت حفصة لعائشة ما كنت لأصيب منكِ خيراً) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وواضح جداً من إصرار الرسول صلى الله عليه وسلم على إمامة أبي بكر أنه يقصد من وراء ذلك أمراً، ويروى أن أبا بكر صلى في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً[2].

---

(١) انظر: تحفة الأجوذي، المناقب ١٥٦/١٠ رقم ٣٧٥٤. وانظر أيضا: طبقات ابن سعد ١٧٨/٣

(٢) طبقات ابن سعد ١٨٠/٣

(ب) إغلاق الأبواب الشارعة إلى المسجد إلا باب أبي بكر رضي الله عنه، حيث قال صلى الله عليه وسلم: (أنظروا هذه الأبواب اللافظة (النافذة) في المسجد فسدوها، إلا بيت أبي بكر فإني لا أعلمُ أحداً كان أفضل في الصحبة عندي يداً منه)[1].

(ج) حين خطب الرسول صلى الله عليه وسلم بالناس قبيل لحاقه وقال: إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده، ففهمها أبو بكر، فبكى وقال:بل نحن نفديك بأنفسنا وآبائنا: فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لأتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده[2].

كيف انتخب أبو بكر خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

بعد لحاق الحبيب صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى وبعد أن ودعه المسلمون، يجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة يتشاورون، ولا يدرون ما يفعلون وبلغ ذلك المهاجرين، فقالوا نرسل إليهم يأتوننا، فقال أبو بكر رضي الله عنه،بل نمشي إليهم، فسار إليهم المهاجرون منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة، فتباحثوا الأمر، فقال بعض الأنصار:منا أمير ومنكم أمير. فقام أبو بكر وقال كلاماً أثنى فيه على الأنصار وبين فيه وجه الحق، فكان مما قال: نحن الأمراء وانتم الوزراء، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

---

(١)سيرة ابن هشام ٢١٩/٤. وأخرجه البخاري ١٢/٧، والترمذي، المناقب التحفة ١٦٣/١٠، وفضائل الصحابة، الإمام أحمد ٣٥٣/١

(٢) سيرة ابن هشام ٢١٩/٤، والبخاري ١٧/٧، والمسند ٤١٢/١، وفضائل الصحابة ٣٤٧/١،

(الأئمة من قريش)[1]، وقال:أوصيكم بالأنصار خيراً أن تقبلوا من محسنهم وتتجاوزا عن مسيئهم[2]، إن الله سمانا الصادقين وسماكم المفلحين[3] وقد أمركم أن تكونوا معنا حيث كنّا فقال: ﴿***يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله* وكونوا مع الصادقين**﴾[4] فتذكرت الأنصار ذلك وانقادت إليه وبايعوا أبا بكر الصديق رضي الله عنه[5].

إن اللفتة الهامة التي وجه أبو بكر رضي الله عنه أنظار الأنصار إليها هي معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : الأمراء من قريش ذلك أن العرب لا تدين لغير هذا الحي من قريش، فكانت هذه حسن سياسة منه رضي الله عنه وبعد نظر، ترك في نفوس أهل السقيفة الأثر الطيب وهدأ من ثورتهم بعد أن احتدم النقاش بين الأنصار والمهاجرين، وكاد الخلاف أن يستحكم بينهم.

ولابد من إيضاح أبعاد هذا الخلاف فإن الأنصار ما أرادوا الخلافة من

---

(١)صحيح البخاري، كتاب الأحكام ١١٤/١٣

(٢)صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار ١٢١/٧

(٣) إشارة الى قوله تعالي في سورة الحشر ﴿**للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون، والذين تبوَّؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾ (الحشر: آية ٨-٩). أنظر:خصائص الصحابة، الإمام أحمد ٣٤١/١.

(٤)سورة التوبة: آية ١١٩

(٥) أنظر: العواصم من القواصم، لأبي بكر بن العربي، ص ٤٣ وما بعدها، وانظر أيضا: الروض الآنف، للسهيلي ٥٥٤/٧.

أجل الدنيا، ولكنهم علموا أن هذا الدين لم يظهر إلا بأيديهم وسيوفهم وبلدهم، ولكن حين أوقفهم أبو بكر على جدّية الأمر، نزلوا على رأيه ونسوا زعامتهم في سبيل مصلحة الدين وسرعان ما قال لهم: إني أرضى لكم هذين الرجلين، عمر وأبا عبيدة، فأيهم شئتم فبايعوا.

فقال عمر: من يتقدم عليك وقد رضيك رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا، أفلا نرضاك لدنيانا؟ ثم قال: أبسط يدك يا أبا بكر فبسط أبو بكر يده فبايعه، ثم بايعه أبو عبيدة وهو يقول: إنك أفضل المهاجرين وثاني اثنين إذ هما في الغار، وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بايع الناس ببيعتهما وبهذا حسمت الفتنة. قال عمر: وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار[1].

لم يكن الخلاف على وظيفة الخلافة، ولكن على هموم هذه الدعوة ومسؤولياتها، خلاف استحكم بين أخوين، الأنصار والمهاجرين، فالأنصار يدلون بجهودهم،والمهاجرون بسابقيتهم لهذا الدين، وهذا الخلاف يحسم بكلمة حق، لأنها وجدت قلوباً صافية سليمة.

أما السر في هذا فهو أن هؤلاء الناس ما اختلفوا هوى في النفوس،ولا لضغينة في القلوب، ولكنهم اختلفوا لله،واجتمعوا على الله، واهتدوا بالله فكان حبهم لله وافتراقهم لله.

---

[1] أخرجه البخاري ضمن حديث طويل، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا ١٢/١٤٤ رقم ٦٨٣، ومسند الإمام أحمد ١/٥٥ ـ٥٦

لم تكن هناك شهوة التسلط وحب الزعامة، والطمع في المنصب،والرغبة في كرسي المسؤولية. بل كانوا يدركون أن الإمارة كما وصفها نبيهم صلى الله عليه وسلم (فنعم المرضعة وبئست الفاطمة) ومن هنا سهل عليهم أن يتقاربوا ويتحدوا فلم يخرجوا من سقيفة بني ساعدة إلا وهم متحابون متآلفون ومؤتلفون[1].

ولعل هذا الاتفاق وذلك التحابب من الأسباب القوية التي جعلت الدولة الإسلامية تقوى وتقوى حتى انهارت أمام بنيانها الشامخ حضارات الروم والفرس. ولعل هذا أيضاً من الفوارق الجوهرية بيننا نحن المسلمين اليوم وبينهم، فما كانت الخلافات في يوم من الأيام لتبنى حضارة أو تشيد دولة أو تحمل دعوة، وصدق الله العظيم:﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** ﴾[2]. وإن واقعنا اليوم يشهد بهذه الحقيقة، فقد تنازعنا ، ففشلنا، وذهب ريحنا وقوتنا. كم هو عظيم أن نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه، يومها تلوح في الأفق بارقة الأمل، الأمل بالنصر، وإنه لات إن شاء الله.

وهكذا أصبح أبو بكر هو الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وما أعظمها من مسؤولية، وما أثقله من حمل، ولكن عظمة الرجال، بثباتهم على المبدأ، وهممهم العالية، وصفاء نفوسهم، كفيلة بهذا الحمل العظيم.

---

[1] نظرات في السيرة النبوية، الإمام البنا، ص ٤٧ -٤٨

[2] سورة الأنفال: آية٤٦

أبو بكر يلقي بيان الخلافة:

بعد أن لزمت المسؤولية عنق أبي بكر رضي الله عنه، يقف لِيُعْلِن في الناس منهاجه ومبدأه، وبرنامجه، ودستوره فيقول:

(إني قد ولّيت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني،الصدق أمانة، والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له الحق، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق،، لا يدع قوم الجهاد إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، اطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم)[1].

إنها مبادئ سامية، نادى بها أبو بكر، وتنادي بها الإنسانية اليوم قررها أبو بكر، وحققها في نفوس الأمة وحياتها،أما اليوم فما زال بين النظرية والتطبيق عند أمم الأرض هوة سحيقة، لن يسدها سوى الإلتزام بالإسلام، مهما بلغت نظريات اليوم زخرفة وازدادت بريقاً، فإن الأمة لا يكفيها صياغة نظريات لا تقبل التطبيق، وإن طبقت فإنها لن تجلب لها سوى الشقاء والدمار والظلم والاضطهاد. كل ذلك باسم الإنسانية وحقوق الإنسان،والديمقراطية، الحرية، الكرامة، وما إلى ذلك من العبارات الرنانة التي تعاني شعّوب الأرض من واقع يتناقض معها بإطراد.

---

[1] تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص ٦٩، وانظر: الروض الآنف ـ للسهيلي ٥٥٦/٧

مخصصات الخليفة المالية:

هذه الخلافة على جسامة مسؤولياتها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم تكن لتشغل أبا بكر عن طلب العيش عن طريق التجارة، مهنته القديمة، فلما جاء يوم السوق، خرج أبو بكر يحمل ثيابه للتجارة، فيلقاه عمر قائلاً ما هذا؟ وإلى أين؟ فيقول له أبو بكر:إلى السوق، فيقول عمر:الست قد وليت أمر المسلمين، فيفرض لك في أموالهم، ما يكفيك وبيتك،عد إلى المسجد.

وينادي عمر في الناس حتى اجتمعوا عندهما، فقام أبو بكر فقال: (أيها الناس إني كنت أحترف لعيالي، فأكتسب قوتهم، وأنا الآن أحترف لكم فافرضوا لي من بيت المال).فقالوا يا خليفة رسول الله لقد ترك رسول الله أمين هذه الأمة أبا عبيدة، فيحكم لك وعلينا. فقال أبو عبيدة: أفرض لك قوت رجل من المسلمين، ليس بأعلاهم ولا بأدناهم، وكسوة الصيف والشتاء، وركوبة تركبها،ففرضوا له مائتي درهم، فقال أبو بكر:أكسب أكثر، ففرضوا له خمسمائة درهم[1].

موقف فريد من جيل فريد. إنه جيل ربي على القرآن وفي ظل الإسلام، عاش بالإسلام وللإسلام، عاش في طاعة ربه وعلى مائدة نبيه، فكان حقاً جيلاً ربانياً، لا تجد له الإنسانية مثيلاً.

أعمال أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

إن حياة العظماء لا تقاس بالزمن الذي يستغرقه وهو في سدة الحكم

---

[1] نظرات في السيرة، البنا،ص٤٩ وانظر أيضا: إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء،محمد الخضري ص ١٨

ولكنها تقاس بالعمل المخلص الجاد والجهد الدؤوب من أجل رعاية مصلحة الأمة ورفع شأنها وتحقيق أهدافها بما يتناسب مع عقيدتها فلا خير في أهداف يُسعى لتحقيقها تتعارض مع عقيدة الأمة، يومها يسود الاضطراب ويحصل الضعف ثم لا تلبث الأمة أن تهوي في مكان سحيق وبحر عميق من الظلمات والتخلف والهوان والذل.

لله درك يا أبا بكر كم كنت عظيماً حينما حققت أهدافاً وأنجزت أعمالاً كثيرة جليلة كانت أياماً حافلة بأعمال الخير رغم أنها لم تدم إلا سنتين وثلاثة أشهر، ولعل من أهمها:

١ـ إنفاذ جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه:

كان الرسول صلى الله عليه وسلم قبيل لحاقه قد جهز جيشاً تحت إمرة الشاب إسامة بن زيد، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين[1]، وعقد الرسول صلى الله عليه وسلم الراية ثم أشتد به المرض، فمكث الجيش ينتظر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، خارج المدينة فلما قضى نحبه، وتولى أبو بكر الخلافة ، قال أبو بكر لأسامة نفذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

ويودع أبو بكر الجيش ومعه كبار الصحابة وهو يسير على قدمية فيقول له أسامة ــ الشاب القائد ــ لتركب أو لأنزل، فيقول أبو بكر وما لي لا أغبّر قدميّ في سبيل الله؟.

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام ٤/١٨٧.

(٢) العواصم والقواصم، ابن العربي ص ٤٥

ثم هو يستأذن أسامة في عمر فيقول: (أفتأذن لي بعمر أستعين به على أمور المسلمين؟).

ثم تذهب جيوش المسلمين فتؤدي مهمتها ثم تعود.

ويذكر أن أسامة قد غاب حوالي أربعين يوماً وقيل سبعين يوماً، وقد أوصاه أبو بكر بقوله:(يا أسامة أصنع ما أمرك نبي الله ببلاد قضاعة، ثم أنت آفل ولا تقصر من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم)[1].

وهنا نستطيع القول بأن أبا بكر رضي الله عنه، كان بعيد النظر حينما عزم على إنفاذ هذا الجيش، ذلك أن بعض قبائل العرب كانت قد دخلت الإسلام حديثاً، وبعضها لم يدخل بعد، وفي مثل هذه الظروف ربما بيّت بعضهما أمراً ضد الدولة، لظنهم أن الفرصة سانحة لذلك بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقبل أن يستتب الأمر لأبي بكر. فكان عزمه على ذلك كي يثبت لهم أن مركز الخلافة في قوة، ولولا ذلك لما أرسل الجيش للقتال في بلاد الروم. ويذكر أن أسامة كان لا يمر بقبيلة يريدون الارتداد إلا قالوا: لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش، فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه[2].

٢ – قضاء أبي بكر على المرتدين:

ما كاد أبو بكر يتسلم زمام المسؤولية في المدينة حتى بدأت الفتنة تطل برأسها كقطع الليل المظلم، فبعد أن مضى جيش أسامة في طريقه إلى شرق

---

(١)انظر ذكر هذه الأخبار: تاريخ ابن الأثير ٢/٣٣٥، وتاريخ الطبري ٣/٢٢٥ - ٢٢٧

(٢) انظر المرجع السابق نفسه ٢/٣٣٦

الأردن، جعلت وفود القبائل تتوارد على المدينة ليناقشوا في قضية الزكاة، وأنها لم تعد مشروعة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، محتجين بقوله تعالى: ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم** ﴾[1] فقالوا إن الزكاة تدفع لمن كانت صلاته سكناً لنا فقط، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد انقطع ذلك بوفاته.

وتتوسع الفتنة وأبو بكر ينظر رأي أصحابه فلا يجد إلا من يقول له: اتركهم وما هم عليه من منع الزكاة وتألفهم حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم.

حتى عمر بن الخطاب الرجل الشديد الحازم القوي يقول لأبي بكر إذا منعك العرب فاصبر عليهم، فيرد عليه: (والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه، والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة)[2].

ثم يقول: يا عمر أجبّار في الجاهلية، خوّار في الإسلام. ولما قيل له مع من تقاتلهم؟ قال وحدي حتى تنفرد سالفتي[3].

ويعزم أمره رضي الله عنه غير عابه بهذه الأهوال الجسام رغم أنه لم يبق معه إلا أهل المدينة ومكة والطائف، ويقاتل أبو بكر المرتدين بمن معه من المسلمين،ويأتي جيش أسامة، فيعقد رضي الله عنه أحد عشر لواء لأحد عشر قائدا كلهم من خيار أصحاب رسول الله صلى لله عليه وسلم، منهم خالد

---

(١) سورة التوبة : آية ١٠٣

(٢) العواصم من القواصم ص ٤٦.

(٣) المرجع السابق.

ابن الوليد، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة[1] . وتسير الجيوش لقتال أهل الردة فينصر الله الإسلام، وتُفرّق كلمة عدوهم وتُكسر شوكتهم.

إنه موقف من أشد المواقف وقفة أبو بكر، الرجل الرقيق - كما تقول ابنته ولكنه كان جباراً في الحق، حازماً في نشر الدعوة، قوياً في الدفاع عن الإسلام، يقول السباعي - رحمه الله - في هذا الصدد:

(وأما موقفه من حروب الردة، فهو أعظم ما يؤثر عن الرجال من الحزم المصمم والإرادة الحازمة، في موقف الشدة، ولولا أن ثبّت الله قلب أبي بكر على الحق، وآتاه حزم أولي العزم من الأنبياء والرسل لطوّحت الفتنة بصرح الإسلام الفتي ودولته، ومن هنا كان أبو بكر المؤسس الثاني للإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم)[2].

٣- جمع القرآن الكريم: بعد أن نصر الله عز وجل الإسلام على يدي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يأتي أبو بكر ليمهد لهذه الأمة السبيل إلى الانتفاع بكتاب الله تبارك وتعالى، وهي قاعدة من القواعد في بناء الأمة الإسلامية والعامل القوي في نهضتها.

إن أشرف النهضات هي التي جاء بها الرسل، لأنها نهضات معصومة وموقوفة على صلاح النفس الإنسانية، ولكن النهضة الإسلامية جاءت مركزة على وحي، هو القرآن الكريم الذي يعلق بالنفس، ويتصل بها أوثق اتصال ويطبعها طبعاً جديداً، وينشؤها نشأة جديدة وهو في الوقت نفسه

---

(١) انظر تفصيل ذلك - ابن الأثير - الكامل - ٢م٣٤٢ - ٤٤٩

(٢) عظماؤنا في الإسلام، ص ١١٩

واضح بين الآيات والألفاظ والحروف وهو شامل للنهضات في جميع جوانبها[1].

ولقد كانت هذه الفكرة من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أخرج البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال:

(أرسل إليّ أبو بكر الصديق ـ مقتل أهل اليمامة ـ فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضي الله عنه:

إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشى إن استمر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن.

قلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم،فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال:هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

---

[1] نظرات في السيرة ، ص ٥٨.

فتتبعت القـرآن أجمعه من العسب واللّخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخرِ سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم** ﴾ حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثـم عند عمر في حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه[1].

٤ ـ **الفتوحات الإسلامية**:لقد كان أبو بكر رضي الله عنه ومعه أصحابه يقرأون قول الله تبارك وتعالي: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غِلظة واعلموا أن الله مع المتقين**﴾[2].

فدائرة الدعوة تتوسع شيئاً فشيئاً لنشر هذا الدين، وتمكين الدعوة ـ بعد إعادة الأمر إلى نصابه ـ ثم تمكين الفكرة، والاطمئنان عليها وعلى العلم وجمع القرآن.. ولا يكون ذلك إلا بتحدي القوى العالمية آنذاك، المتمثلة في الامبراطوريتين الفارسية والرومانية.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد بدأ ذلك حين عقد الراية لجيش أسامة لحرب الروم.

وهكذا اتجه أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى منازلة الدولتين الكبريين الفرس والروم، ولم يتطلع إلى ذلك حباً في توسيع ملكه، ولا رغبة في السلطان والوجاهة، ولا طمعاً في ريف العراق وجمال الشام، ولا إشباع شهوة التسلط كل ذلك لم يخطر على باله، فإن من شأن المسلمين أن لا

---

[1] صحيح البخاري ٩/١٠.

[2] سورة التوبة : آية ١٢٣.

يرفعوا سيفاً ولا يرموا برمح حتى يبينوا للناس ما نزل إليهم. وكانوا يعطون الفرصة الكافية لأعدائهم حتى يتخيروا أحد أمرين:

الدخول في الإسلام، أو إعطاء الجزية، وهي تساوي أجر الحماية فمحاسبة المسلمين هناك تأخذ على عاتقها حمايتهم، بدليل أنهم كانوا إذا سحبوا هذه الحامية، ردّوا الجزية على أصحابها كما حصل معهم في حمص[1].

وهكذا فقد تقدمت الفتوحات الإسلامية في عهده رضي الله عنه على جبهتين:

الأولى ـ جبهة الفرس في الشرق:

وقد انتدب رضي الله عنه لقيادة الجيوش الإسلامية على هذه الجبهة سيف الله خالد بن الوليد، وكان ذلك في شهر محرم من السنة الثانية عشرة للهجرة، واستطاعت الجيوش الفاتحة أن تفتح معظم بلاد العراق من مملكة فارس في عهد الصديق رضي الله عنه.

الثانية ـ جبهة الروم في الشمال:

فقد وجه أبو بكر رضي الله عنه خالد بن سعيد بن العاص على رأس جيش من الدعاة الفاتحين إلى مشارف الشام وعسكر بتيماء، والتقى بالروم ثم كتب إلى أبي بكر يطلبه المدد والعون فجهز أبو بكر رضي الله عنه أربعة جيوش:

الأول:قائده عمرو بن العاص ، ووجهته فلسطين

---

[1] نظرات في السيرة ، البنا، ص ٥٣

الثاني: قائده شرحبيل بن حسنة، ووجهته الأردن.

الثالث: قائده يزيد بن أبي سفيان، ووجهته البلقاء.

الرابع: قائده أبو عبيدة عامر بن الجراح ووجهته حمص.

وجمعت الروم لهم فأشار عمروبن العاص على الأمراء بالاجتماع، فاجتمعوا باليرموك وكل واحد أمير على جيشه والروم أمامهم، وبين الفريقين خندق فكان الروم يقاتلون باختيارهم وإن شاءوا احتجزوا بخنادقهم، وبقي الأمر على هذا الحال ثلاثة أشهر.

فكتب الأمراء إلى أبي بكر يطلبون منه المدد، فكتب إلى خالد بن الوليد في العراق يوجهه إلى الشام، ووصل خالد المسلمين بوقت قصير وكان الروم قد وصلهم بنفس الوقت مدد آخر ﴿ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾[1] ثم رأى المسلمون أن يجتمعوا جميعاً تحت قيادة خالد فكانت معركة اليرموك التي انتصر فيها المسلمون انتصاراً ما زال وسيبقى التاريخ يذكر ذلك النصر وتلك المعركة.

والجدير بالذكر أن معركة اليرموك وقعت في سفوح جبال الجولا،، تلك الجبال التي استشهد فيها ما يقرب من ثلاثة آلاف رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لينشروا في أطرافها الإسلام، ويعلوا عليها راية الحق والتوحيد فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ورفعوا شعارات ورايات، لا تقوم على أساس هذا الدين، بل تتناقض مع قيمه ومبادئه، فنحن قوم اعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا

---

[1] سورة الأنفال :آية ٤٢.

الله به أذلنا الله، وهكذا كانت النتيجة الطبيعية لتفرق الأمة، وتخليها عن مبادئها، غلبة العدو لترفع على جزء من بلاد المسلمين وتعلو عليها نجمة داود بدلاً من راية الإسلام. واحسرتاه على المسلمين، أجدادهم يفتحون البلاد ويضحون من أجل هداية العباد ويروون ترابها بدمائهم الزكية، وخلفهم يُفرطون. ولكن أملنا بالله عظيم، فلا بد أن يتحقق نصر الله لهذه الأمة، على أيدي أبنائها، وبسواعدهم المتوضئة، لتخفق من جديد فوق روابيها راية الحق إن شاء الله.

مرض أبي بكر رضي الله عنه ووفاته:

كان أول بدء مرض الصديق رضي الله عنه، أنه اغتسل في يوم بارد فأصيب بالحمى خمسة عشر يوماً، لا يخرج إلى الصلاة،وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يصلي بالناس.

وكان الناس يدخلون إليه يزورونه وهو في بيته، وكان عثمان رضي الله عنه ألزمهم له في مرضه.

وتوفي أبو بكر رحمه الله مساء ليلة الثلاثاء لثمان ليال بقين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة، فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليالٍ[1].

وقد أوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس رضي الله عنها، وكفن بثوبين مستعملين وقيل بثلاثة، وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بين المنبر وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفن ليلاً إلى جانب صاحبه

---

[1] طبقات ابن سعد ٢٠٢/٣.

عليه الصلاة والسلام، فجعل رأسه بمحاذاة كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

رحمك الله يا أبا بكر، ورضي عنك،فلقد خلفت الحبيب صلى الله عليه وسلم فكنت خير خلف لخير سلف،وبلغت ونشرت الدعوة، وحملت الأمانة وأديتها وقمت بها خير قيام.

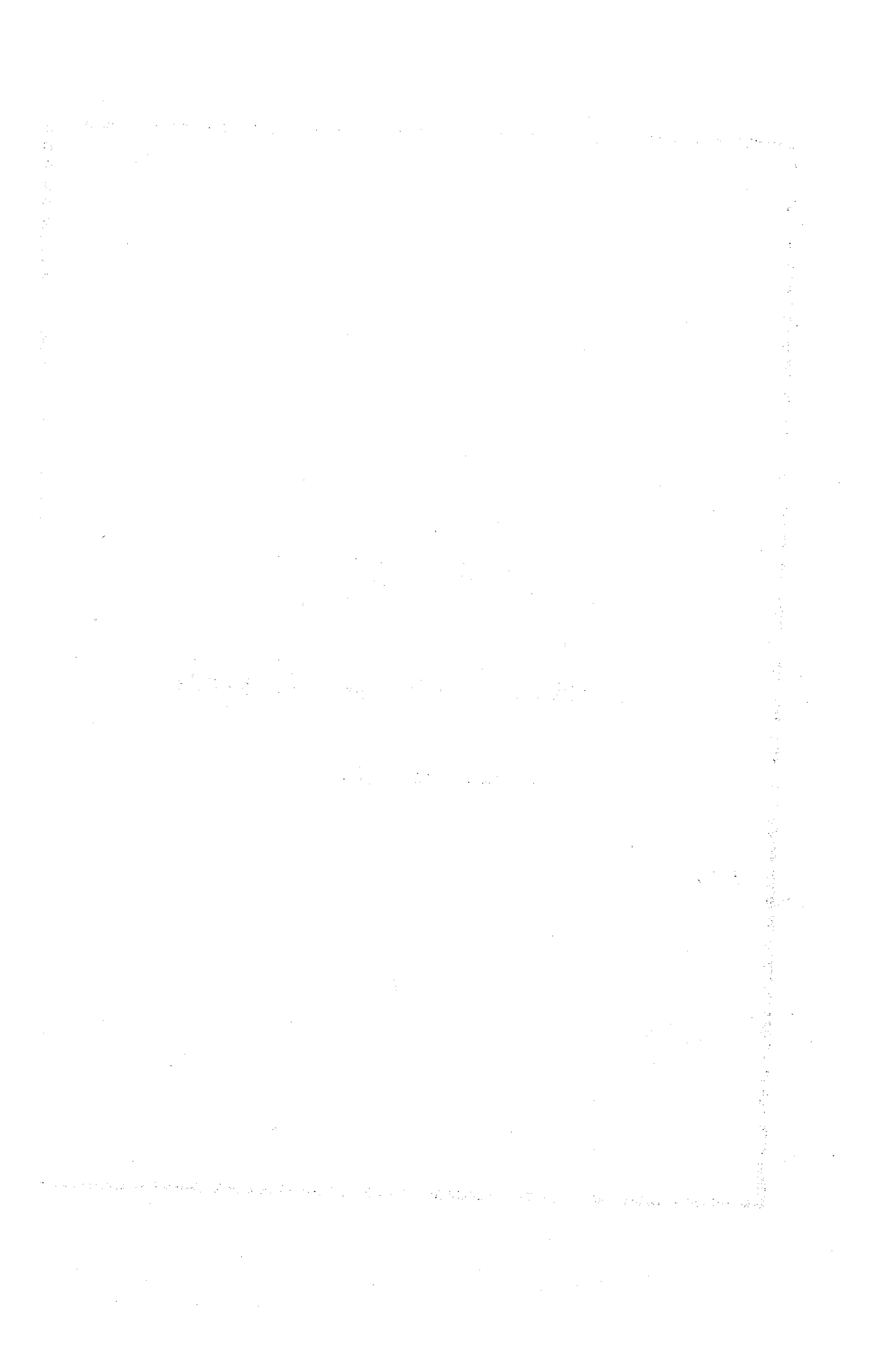
---

(1) أنظر : تاريخ الطبري ٣/٤٢١ - ٤٢٢

الخليفة الثاني

الفاروق عمر بن الخطّاب

رضي الله عنه



عمر بن الخطاب الفاروق

رضي الله عنه

اسمه:

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بـن رباح بـن عبـد الله بـن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب، ويكنى أبا حفص.

وأمه: حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبـد الله بـن عمـرو بـن مخزوم[1] وكان يلقب بالفاروق ـ لقبه النبي صلى الله عليه وسـلم بذلـك، أخـرج ابـن سعد عن أيوب بن موسى قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله جعـل الحـق على لسـان عمـر وقلبـه وهـو الفـاروق فـرق الله بـه بـين الحـق والباطل)[2].

روى أنه ولد بعد الفجار الأعظم بأربع سنين،وذلك قبل المبعـث النبـوي بثلاثين سنة، وقيل ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة[3] وبذلك يكون الفـارق بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم من عشر إلى ثلاث عشرة سنة.

إسلامه:

قصة إسلام عمر رضي الله عنه مشهورة ذكرها المؤرخون والرواة، ونحن

---

[1] طبقات ابن سعد ٣/٢٦٥، وانظر: الإصابة ٧/٧٤.

[2] طبقات ابن سعد ٣/٢٧٠.

[3] الإصابة ٧/٧٤.

نسوق هنا خلاصة ما رواه ابن هشام في السيرة[1].

بينما كان الرسول صلى الله عليه وسلم مجتمعاً مع أصحابه في دار الأرقم بن أبي الأرقم ليعلمهم القرآن. جاء الخبر إلى عمر بن الخطاب، فخرج إليهم متوشحاً سيفه يريد شراً، فلقيه أحد المشركين (نعيم بن عبد الله) فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال:أريد محمداً هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسبّ آلهتها فأقتله.

فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض إن قتلت محمداً، أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتصلحهم أولاً؟.

قال عمر: ،أي أهل بيتي ؟

قال نعيم: أختك فاطمة وزوجها سعيد بن زيد - وكانا قد أسلما دون علم عمر - فرجع عمر إلى بيت أخته وزوجها وكان عندهما خبّاب بن الأرتُ يعلمهما القرآن فلما سمعوا صوت عمر، تخفى خباب في بعض جوانب البيت، ووضعت فاطمة الصحيفة التي كانوا يقرؤون منها تحت فخذها.

فلما دخل عمر - وكان قد سمع صوت خباب - قال ما هذا الصوت الذي سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئاً.

قال: بل والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه. وبطش بزوج أخته سعيد، فقامت أخته فاطمة لتمنعه عن ضرب زوجها،فضربها فشجها،

---

[1] السيرة النبوية، لأبن هشام ١/٢٩٥.

فلما فعل ذلك قالت له أخته وزوجها:

نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك.

فلما رأى عمر الدم على وجه أخته سكت عنه الغضب وندم على ما فعل، وطلب من أخته الصحيفة ليقرأها، فأبت أخته أن تسلمه الصحيفة حتى يغتسل، ففعل، فلما قرأ - وكان كاتباً قارئاً ـ قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه، فلما سمع ذلك خباب خرج إليه وقال: يا عمر، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فإني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيّد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب.

قال عمر: فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم. فدله، وذهب عمر فقرع باب البيت، فقام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحاً السيف، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحاً سيفه، فقال حمزة عمّ الرسول فأذن له، فإن كان يريد خيراً بذلناه له وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:إئذن له فأذن له الرجل، ونهض إليه الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لقيه وأمسك في حجزته ـ موضع شد الإزار ـ ثم جره بقوة وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة.

فقال عمر: يا رسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله فكبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبّر المسلمون.

وهكذا أعز الله الإسلام بإسلام عمر الفاروق رضي الله عنه، روى

البخاري بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (ما زلنا أعزه منذ أسلم عمر)[1].

صفاته:

(أ) الصفات الخِلْقية:

وصفه ابنه عبد الله رضي الله عنهما فقال عنه: رجل أبيض تعلوه حمرة طوال ـ أي شديد الطول ـ أصلع، أشيب[2] وكان رجلا ضخم الجسم، يبدو من بين الناس وكأنه راكب لطوله، وكان أيضاً رجلاً أيسر (أي يستعمل يده اليسرى). وقد كان جهوري الصوت، شديد الهيبة.

(ب) الصفات الخُلُقية:

رحم الله عمر فقد كان قمة في الخلق، كيف لا وقد كان من أنجب من رباهم الرسول صلى الله عليه وسلم في محضن النبوة وعلى منهج الإسلام وتحت رقابة الوحي.

وليس من السهل أن نكتب عن أخلاق عمر في سطور إلا إذا لخصنا ذلك بكلمات جامعة: فقد كان رضي الله عنه شديداً في الحق، ذكياً ثاقب الرأي متحمساً لدينه، وفياً لنبيه شديد الهيبة، كثير الورع، شديد التأثر بالقرآن وافر العدل يحاسب نفسه قبل أن يحاسب رعيته.

كانت شخصية عمر شخصية متكاملة من جميع جوانبها ومرد ذلك خاصة عمر الفذة النادرة التي دخلت مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[1] صحيح البخاري ٧/١٧٧، وأيضاً ٧/٤١.

[2] انظر : صفاته في طبقات ابن سعد ٣/٣٢٤ - ٣٢٦

فحق لهذه الخاصة أن تخرج إنساناً فيه أنبل الصفات الإنسانية قائداً فيه أكفأ الصفات القيادية رجل دعوة فيه أسمى صفات الداعية وفوق هذا وذاك مسلماً فيه كل المعاني التي تحملها هذه الكلمة.

وتصفه الصحابية الجليلة، الشفاء ابنة عبد الله فتقول: كان والله عمر إذا تكلم أسمع وإذا مشى أسرع وإذا ضرب أوجع وهو الناسك[1].

مكانته عند قومه:

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أشراف قريش، فقد كانت تنتهي إليه السفارة في الجاهلية[2] فإذا وقعت بين قريش وغيرها حرب أو نافرهم أو فاخرهم أحد، كان هو السفير في أمرهم والنافر والمفاخر عنهم.

فلما أسلم كان من أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان شريفاً في الجاهلية شريفاً في الإسلام جباراً في الجاهلية هياباً في الإسلام. فالناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا.

إيمـــــانه:

منذ اللحظة الأولى التي سمع عمر فيها القرآن الكريم، استولى عليه شعور الإيمان الصحيح. فإن كلام الله حينما يلامس الأسماع لا يلبث أن يعزف على وتر القلب ليمده بتيار إيماني عظيم، إلا من ران على قلبه.

ويذكر أن عمر رضي الله عنه كان يمشي إلى جوار جدار فإذا رجل يقوم

---

(1) ابن سعد ٣/٢٩٠.

(2) الاصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر ٧/٧٤.

النيل ويقرأ قوله تعالى:

﴿ والطور وكتاب مسطور، في رق منشور، والبيت المعمور، والسقف المرفوع، والبحر المسجور، إن عذاب ربك لواقع، ما له من دافع ﴾[1].

فيقع عمر مغشياً عليه ويمرض شهراً والناس يزورونه ولا يدرون ممّ مرض عمر..وهكذا كان عمر حينما يمر بالآية من كتاب الله يبكي حتى يسقط ثم يلزم بيته فيعوده الناس يحسبونه مريضاً[2].

وليس أدل على مقدار إيمان عمر رضي الله عنه من الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قُمص،فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض عليّ عمر وعليه قميص إجترّه، قالوا فما أولته يا رسول الله؟قال: الدين)[3].

ويحدثنا المسور بن مخْرمة رضي الله عنه فيقول:كنّا نلزم عمر بن الخطاب نتعلم منه الورع[4].

وسمع مرة وهو يحدث نفسه ويقول: أصبحت يا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، والله لتتقين الله أو ليعذَبنك[5].

---

(١)سورة الطور :آية ١ ـ ٨

(٢)انظر : حلية الأولياء، الأصبهاني ١/٥١.

(٣)صحيح البخاري ٧/٤٣.

(٤) ابن سعد ٣/٢٩٠.

(٥) ابن سعد ٣/٢٩٢

هيبته:

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوي الشخصية تهابه الرجال والنساء حتى الشيطان كان يهابه، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم له: (والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك)[1].

ويحدث محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه فيقول: (استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم:فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك، فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب.

قال عمر:فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله. ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟)[2].

وحين كانت هجرة المسلمين، هاجروا كلهم سراً إلا عمر بن الخطاب فقد جاء متوشحاً سيفه فطاف بالبيت ثم صلى ثم قال لوجوه قريش شاهت الوجوه لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، إني مهاجر فمن أراد أن يوتم ولده أو

---

(١) صحيح البخاري ٤١/٧

(٢) صحيح البخاري ٤١/٧

تثكله أمه فليلقني وراء ذلك الوادي. فلم تحرك قريش ساكناً و لم ينطق أحد منهم ببنت شفة، لقد كانت هيبة عمر أقوى من أن تجعلهم يفكروا في مقاومتة،.. لقد كانوا بجمعهم أقوى من عمر، ولكنها الهيبة التي أخذت بألبابهم...

شدَّته في الحق:

لقد كان عمر رضي الله عنه شرطياً للرسول صلى الله عليه وسلم ــ كما يقول عن نفسه ــ فكان شديدًا في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم.

ومن مواقفه:

* حينما حاول ابن سلول ــ رأس المنافقين ــ أن يوقع فتنة بين المسلمين وهم في طريق عودتهم من غزوة ذات الرقاع، حيث قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل..يأتي عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: (يا رسول الله: دعني أضرب عنق هذا المنافق..)[1] فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه

* ويوم أن أخطأ حاطب بن أبي بلتعة في مراسلة مكة وأخبارهم بمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم.. يستدعي الرسول حاطباً ليسأله فلا يصبر عمر على ذلك بل يقول: دعني يا رسول الله أعلو عنقه بالسيف فيقول له الرسول صلى الله عليه وسلم إنه شهد بدراً.

* ويوم الحديبية، لم يرض عمر ــ بادئ ذي بدء ــ بالاتفاقية، فيأتي إلى

---

(١) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله سواء عليهم أستغفرت لهم.. الآية أنظر: فتح الباري ٦٤٨/٨

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: (يا رسول الله: السنا على حق وهم على باطل، فيقول له الرسول: بلى. فيقول : اليس شهداؤنا في الجنة وقتلاهم في النار، فيقول بلى. فيقول عمر: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ كيف نعود ولّما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فيجيبه الرسول صلى الله عليه وسلم : (يا عمر إني رسول الله ولن يضيعني أبداً. ويمضي إلى أبي بكر فيجيبه بمثل ذلك[1].

* ويروى أن رجلين اختصما، منافق ويهودي، فأرادا شخصاً يقضي لهما، فقال المنافق نذهب إلى عبد الله بن أبي سلول وقال اليهودي بل نذهب إلى محمد. فذهبا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي. فقال المنافق نذهب إلى عمر، فذهبا إليه وطلبا منه أن يقضي بينهما لعدم رضائهما بقضاء الرسول صلى الله عليه وسلم فما كان من عمر إلا أن أستل سيفه وقتل المنافق وقال: هذا قضائي فيمن لم يقبل بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

موافقته القرآن الكريم:

كان رضي الله عنه ثاقب الرأي، حاد الذكاء، قوي البصيرة. وافقه القرآن الكريم في كثير من المواقف.

يروي البخاري عن عمر رضي الله عنه أنه قال:

(وافقت ربي في ثلاث فقلت يا رسول الله: واتخذنا من مقام إبراهيم

---

(1) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ابن الجوزي ، ص ٤٥.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير.

مصلى فنزلت ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾[1].

(وآية الحجاب، قلت يا رسول الله: لو أمـرت نسـاءك أن يحتجـبن فإنـه يكلمهن البر والفـاجر فنزلت آيـة الحجـاب ﴿**يـا أيـها النـبي قـل لأزواجـك وبناتك ونساء المؤمنين يُدْنِينَ عليهنّ من جلابيبهنّ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً**﴾[2].

واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عليه فقلت لهن:﴿**عسى ربه إنْ طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن** ﴾ فنزلت هذه الآية)[3].

وقد وافق عمر رضي الله عنه القرآن في غـير هـذه الأحـداث منـها قصـة أسارى بدر، وقصة الصلاة على المنافقين وتحريم الخمر.

قال ابن حجر: وأكثر ما وقفنا منها بالتعيين على خمسة عشر لكن ذلـك بحسب المنقول[4].

إلا أن السيوطي قال: رأيت في كتاب (فضائل الإمـامين) لأبـي عبـد الله الشيباني قوله: وافق عمر ربه في أحد وعشرين موضعاً)[5].

وأخرج الترمذي عن ابن عمر وصححه قال: (ما نـزل بالنـاس أمـر قـط فقالوا فيه، وقال فيه عمر إلا نزل القرآن فيه على نحو ما قال عمر)[6]

---

[1] سورة البقرة: آية ١٢٥

[2] سورة الأحزاب . آية ٥٩

[3] صحيح البخاري ١/٥٠٤،٨/٦٦٠، والآية في سورة التحريم – ٥.

[4] فتح الباري ١/٥٠٥

[5] تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٢٣

[6] جامع الترمذي، وانظر : تفصيل موافقاته في تاريخ المدينة ـ الحاشية ٨٥٩/٣ وما بعدها.

والدلالة التي يمكن أن تؤخذ من هذا هي أن عمر رضي الله عنه قد تفاعل عقله وقلبه مع القرآن وامتزجت أهداف التشريع بروحه وقلبه وعقله وفطرته التي انسجمت انسجاماً تاماً مع روح الشريعة فكان يتحسس الأفعال والأقوال التي لا تتوافق وخط التشريع المنسجم مع الفطرة الصافيةويبادر إلى تمني نزول الأمر الإلهي الذي كان يتنزل علاجاً لحوادث تقع، رضي الله عنك يا عمر فلقد كنت نافذ البصيرة في شؤون الدنيا صادق النظرة وعظيم الخبرة بدخائل النفس البشرية، فجاء الإكرام الإلهي لك بموافقتك في كثير من آي الذكر وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فقال: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه)[1].

عمر بن الخطاب يتسلم الخلافة:

إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أشار إلى المسلمين إشارة كي يتولى أبو بكر الخلافة فإن أبا بكر قد أوصى بها وصاية إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان أبو بكر قد استشار الناس في ذلك فوكلوه باختيار خليفة له، حيث أمر أن تجتمع له الناس فاجتمعوا، فقال:

أيها الناس قد حضرني من قضاء الله ما ترون، وإنه لا بد لكم من رجل يلي أمركم ويصلي بكم، ويقاتل عدوكم، ويأمركم، فإن شئتم اجتهدت لكم رأيي، والله الذي لا إله إلا هو لا ألوكم في نفسي خيراً، فبكي وبكى الناس، وقالوا يا خليفة رسول الله أنت خيرنا وأعلمنا فاختر لنا، قال: أجتهد

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في كتاب فضائل الصحابة ٤٣١/١ بإسناد صحيح

لكم رأيي، وأختار لكم خيركم إن شاء الله[1].

وهذا ما تذكره معظم كتب السيرة والتاريخ، ونحن نسوق وصية أبي بكر حسب ما أوردها ابن سعد في طبقاته حيث روى قصة طويلة جاء فيها:[2]

دعا أبو بكر عثمان بن عفان فقال: أكتب بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منه، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها، حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب.

إني أستخلف عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب من الإثم، والخير أردت ولا أعلم الغيب، سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

.. ثم دعا أبو بكر عمر خالياً فأوصاه بما أوصاه به، ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يديه فقال:

اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة، فعملت فيهم بما أنت أعلم به، واجتهدت لهم رأيي، فوليت عليهم خيرهم، وأقواهم عليهم..

---

[1] الامامة والسياسة، الدينوري ١/٢٥

[2] طبقات ابن سعد ٣/١٩٩ ــ ٢٠٠، وانظر أيضا ما ذكره ابن الجوزى عن الحسن البصري مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص ٥٢

ومن الجدير بالذكر أن نؤكد على أن اختيار أبي بكر لعمر لم يكن انفراداً بالرأي فما كان أبو بكر ليحيد عن خطة نبيه صلى الله عليه وسلم ولكنه، كان من باب الشورى، فاستشار أصحابه هل يوكلوا إليه أمر اختيار الخليفة فكانت موافقتهم هي التي خولته الاختيار لأنه كما قال له الصحابة رضوان الله عليهم أنت خيرنا وأعلمنا فاختر لنا.

ولقد كان ملحظ الصحابة رضوان الله عليهم في غاية الدقة حينما قالوا له أنت أعلمنا. فإنه لا أحد يعلم متاعب الحكم وتبعاته وما يناسبه وما لا يناسبه كعلم من جرب ذلك وخبره، وعرف ظروف الدولة وما يحيط بها من أخطار وما يترتب عليها من تبعات ولقد كان عمر هو الرجل المناسب لتحمل هذا كله رحمك الله يا أبا بكر، لقد اخترت فأحسنت الاختيار فإن الدولة بحاجة إلى رجل بشدة عمر، وقوة عمر وعدل عمر، فقد كان المسلمون يشتبكون مع فارس والروم في حروب طاحنة ومعارك ضروس.

عمر بن الخطاب يلقي بيان الخلافة:

بعد وفاة الصديق رضي الله عنه ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، يستقبل عمر الفاروق الخلافة صبيحة الثلاثاء، ويلقي خطبة يبين فيها منهاجه قال فيها:

(أما بعد فقد أبتليت بكم،وابتليتم بي، وخلفت فيكم بعد صاحبي فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا، ومن غاب عنا فقد ولينا أمره أهل القوة والأمانة، فمن يحسن نزده حسناً، ومن يسيء نعاقبه ويغفر الله لنا ولكم).

ويخاف الناس عمر لشدته وقوته. ويشعر هو بذلك فيرفع يديه إلى السماء ويقول: اللهم إني شديد فليني وإني ضعيف فقوني وإني بخيل فسخني)[1].

وحينما تفضي إليه الخلافة يلتفت إلى أصحابه ويقول: لا تظنوا بي الشدة كما كنت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كنت شرطيه فجاء أبو بكر فكنت كذلك. أما وقد أفضى إليّ الأمر فأنا أضعفكم أمام الحق.

أعمال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

لقد كانت خلافة الفاروق رضي الله عنه حافلة بالأعمال الجليلة التي قدمها لنشر الإسلام وبسط نفوذ راية الحق على أرض الله الواسعة وإرساء دعائم الحكم وأنظمته التي أصبحت تقتضيها طبيعة الدولة المترامية الإطراف. ونستطيع أن نلخص أهم أعماله بالآتي:

١ ـ الاستمرار في عملية الفتوحات الإسلامية:

حاربت الجيوش الإسلامية في عهد عمر على جبهات ثلاث:

الجبهة الأولى ـ جبهة الفرس:

فحين ولي عمر الخلافة وفي سنة)١٤هـ) يأمر رضي الله عنه بتأسيس مدينتين في العراق من أجل أن تكونا منطلقاً للجيوش الفاتحة وقواعد عسكرية لهذه الجيوش هما البصرة والكوفة، وبقي القتال بين المسلمين والفرس في منطقة الفرات على شكل مجموعات قبلية لهم يجابهون بها

---

[1] طبقات ابن سعد ٣/٢٧٤، وانظر أيضا:مناقب عمر، ابن الجوزى، ص ٢٥

المسلمين. وحين ولي أبو موسى الأشعري البصرة، بقي الأمر كذلك إلا أن أخذ عمر بن الخطاب برأي الأحنف بن قيس، حيث رأى أن يوسع دائرة الفتوحات وهنا أخذت الفتوحات مرحلة جديدة، فأصدر عمر أمره إلى أبي موسى الأشعري بأن يخرج من البصرة غير بعيد، ويقيم حتى يأتيه أمره، ثم بعث عمر إلى أبي موسى بألوية الأمراء الذين سيسيرون في بلاد العجم ــ بلاد فارس ــ وكانوا سبعة:[1]

١- لواء خراسان للأحنف بن قيس.

٢- لواء أردشيرخره، لمجاشع بن مسعود

٣- لواء اصطخر لعثمان بن بن أبي العاص الثقفي.

٤- لواء فسا، ودار ايجرد، لساريةبن زنيم الكناني.

٥- لواء كرمان، لسهيل بن عدي.

٦- لواء سجستان، لعاصم بن عمرو.

٧_ لواء مكران، للحكم بن عمير التغلبي.

وانطلقت هذه الجيوش من البصرة قاصدة الأمكنة التي أمروا بفتحها.

*فسار الأحنف بن قيس بجيشه إلى خراسان، سنة (١٨هـ) وقيل (٢٢هـ).فدخلها من الطبسين، وافتتح هراة عنوة، ثم سار إلى مرو الشاهجان، وأرسل بعض قواده إلى نيسابور، وبعضهم إلىسرخس، فافتتحوها، ثم لحقه مدد أهل الكوفة،فسار إلى مرو الروذ، فافتتحها، وأخيراً دخل أهل خراسان الصلح، ما بين نيسابور وطخارستان،وكتب إلى عمر

---

[1] انظر تاريخ ابن خلدون ١١٣/٢

بالفتح.

*وأما مجاشع بن مسعود السلمي، فسار إلى سابور، وأردشيرخرة، فاعترضه الفرس دونهما بتوّج، فهزمهم وأثخن فيه القتل،وفتح توّج وصالحهم على الجزية،وأرسل بالفتح والأخماس إلى عمر.

* وقصد الأمير الثالث عثمان بن أبي العاص، اصطخر.فزحف إليه أهلها بمكان اسمه(جور) فهزمهم، وفتح جور واصطخر،ووضع عليهم الجزية ثم فتح كازرون، والنوبندجان، وغلب على أرضها.

ثم لحق به أبو موسى الأشعري، فافتتحا شيراز، وأرجان وصالحا أهلها، على الجزية والخراج.

* وسار سارية بن زنيم الكناني إلى فسا، ودارا بجرد، فحاصر أهلها فاستنجدوا بأكراد فارس، فقاتلهم جميعاً بصحراء، فقام عمر على المنبر في المدينة ونادى يا سارية الجبل الجبل، يشير إلى جبل كان إزاءه يسند إليه، فسمع ذلك سارية ولجأ إليه، ثم فتح الله عليه بالنصر وانهزم المشركون.

*وأما سهيل بن عدي ـ من أمراء الأنسياح ـ فقصد كرمان، ثم لحق به عبد الله بن عبد الله بن عتبان بجماعة من المقاتلين، فلما علم به أهل كرمان حشدوا حشوداً كبيرة لصد جيوش المسلمين، فالتقى بهم المسلمون في أدنى أرضهم وقاتلوهم قتالاً مريراً، فغلبهم المسلمون بإذن الله.

*وقصد عاصم بن عمر سجستان،ولحق به عبد الله بن عمير لمساندته، فاصطدموا بأهل سجستان في أدنى أرضهم، فقاتلوهم، فهزموهم، ثم تبعوهم إلى مدينتهم فحاصروهم فيها. ولما رأى ذلك أهل سجستان طلبوا الصلح

على مدينتهم وأرضها. وبقي أهل سجستان على الخراج.

* وسار الحكم بن عمرو التغلبي ـــ أحد أمراء الإنسياح ـــ إلى مكران،ولحق به مدد من المسلمين بقيادة شهاب بن المخارق، ثم انضم إليهم سهيل بن عدي، وعبد الله بن عبد الله بن عتبان بمن معه، وانتهوا جميعاً إلى دوين، وأهل مكران، وقد واجههم أهل السند بجيش كثيف، فلقيهم المسلمون فقاتلوهم،فهزموهم وأثخنوا فيهم القتل[1]..

وهكذا شاء الله لأمراء الانسياح، وجيوشهم المؤمنة أن يحققوا انتصارات عظيمة في بلاد فارس، وأن يبسطوا أيديهم عليها.

ولكن الفرس حينما رأوا أن ملكهم قد زال، وأراضيهم أخذت، وقراهم احتلت،وكان قد لجأ من خرج منهم من بلاده إلى نهاية أرض فارس، رأوا أن يجمعوا اشتاتهم،ويجهزوا جيشاً عظيما يقضي على جيوش المسلمين ويعيد إليهم سيطرتهم على بلادهم.

وبدأوا بتنفيذ ذلك،فجمعوا مائة وخمسين ألف مقاتل[2] وتوجهوا بهذا الجيش نحو البصرة والكوفة، البلدين اللذين كانا منطلق الجيوش الإسلامية الفاتحة، فقد أدركوا أن احتلالهما يعيد سلطانهم على العراق وبلاد فارس كلها.

وقد وصل خبر هذا الجيش عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فلما سمع

---

(١) انظر تفصيل هذه الفتوحات في تاريخ ابن خلدون ١١٣/٢ ـ١٢٢.

(٢) أنظر: البداية والنهاية، ابن كثير ١٠٦/٧

بذلك، جمع الناس فخطب فيهم وقال:

(إني رأيت أن أسير بمن قبلي، حتى أنزل منزلاً وسطاً بين هذين المصرين ـ البصرة والكوفة ـ فأشار عليه علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ أن يكتب إلى الكوفة ، فليذهب منها الثلثين، وإلى البصرة بمثل ذلك، فكتب عمر إلى أهل البصرة والكوفة يأمرهم بتجهيز جيش عظيم،وولى قيادة هذا الجيش للنعمان بن مقرن.

وسار جيش المسلمين ـ جيش البصرة والكوفة ـ للقاء جيش الفرس، فالتقوا بهم في مكان اسمه (نهاوند) وكانت معركة نهاوند الحاسمة، والتي أسفرت عن انتصار المسلمين،وكانت بداية النهاية لدولة الفرس[1].

ثم إن عمر يجهز جيشاً يخرج من الحجاز، ويقع اختياره على سعد بن أبي وقاص ليكون قائداً لهذا الجيش، ويجهز الروم جيشاً كبيرا بقيادة رستم لقتال المسلمين، وكانت نتيجة ذلك معركة (القادسية) حيث قتل فيها رستم، وانهزم جيش الروم وكتب سعد إلى عمر رضي الله عنهما يبشره بالفتح.وكان ذلك ايذاناً بسقوط دولة الفرس وانتشار الإسلام هناك[2]

الجبهة الثانية: جبهة الروم في بلاد الشام:

كانت معركة اليرموك الفاصلة التي استطاع فيها المسلمون أن يوجهوا ضربة موجعة للروم في بلاد الشام، بقيادة أمين هذه الأمة أبي عبيدة عامر بن الجراح وساعده خالد بن الوليد رضي الله عنهما،وما أن مرت فترة من الزمن

---

(١) انظر: الكامل، لابن الأثير ٣/ ٣ـ٤

(٢) انظر تفصيل أخبار القادسية في : الطبري ـ التاريخ ٣/٥٦٣ ـ ٥٧٩، وابن الأثير ـ التاريخ ـ ٢/٤٥٠ ـ ٤٦٨.

وفي السنة الرابعة عشرة يبلغ الخبر المسلمين بأن مدداً قد جاء الروم، وأنهم يعدون لحربهم فسارع المسلمون إلى دمشق وحاصرها أبو عبيدة من جهة وخالد بن الوليد من جهة أخرى ودام الحصار ما يزيد على الشهرين إلى أن فتحت دمشق ما بين صلح وعنوة كما يقول السيوطي[1] ثم بعدها حمص وبعلبك وحماه واللاذقية وحلب حتى وصل المسلمون إلى أنطاكية والبسفور.

وبذلك دانت الشام للمسلمين ليقيموا فيها حكم الله وتعلوا على ربوعها راية الحق. ولترفرف فوق ربى القدس، وتعلوا من على مآذنها شهادة الحق وكلمة التوحيد.

وتمر الأيام فتعود جحافل الكفر لتعيد الأقصى ومن حوله إلى الأسر، فيقيض الله لهذه الأمة بطلاً مِقداماً..صلاح الدين فيحررها.. ثم تدور الدورة وتضعف أمتنا فيعود الأقصى يئن تحت الأسر. فهل يا ترى تعود الكرة لنا.. عسى أن يكون ذلك قريبا...

الجبهة الثالثة ـ جبهة مصر :

وكانت مصر آنذاك خاضعة للحكم الروماني فيستأذن عمرو بن العاص أمير المؤمنين في فتحها،فيوافق عمر على ذلك ويسير بجيش كثيف فيدخلها ويلحق به الزبير على رأس جيش آخر ويشاء الله عز وجل أن تفتح وكان ذلك سنة (٢٠ هـ) كما ذكر السيوطي[2] وكان ذلك صلحاً، ونزل المسلمون مكاناً اسمه (الفسطاط) حيث بنوا فيه بنياناً وأنشأوا هناك مسجدا

---

[1] تاريخ الخلفاء ، ص ١٣١

[2] تاريخ الخلفاء ص ١٣٢

وأنشأ عمرو مدينته.

ثم يسير إلى الإسكندرية فيلتقي مع الروم قبلها وينتصر عليهم ويدخلها ويخرج الروم إلى القسطنطينية،ويصالح عمرو بن العاص المقوقس زعيم الأقباط وهم سكان البلاد.

وهكذا ساد الإسلام أرضاً أخرى وانتشر في ربوعها وارتفعت أصوات المآذن بالتوحيد..

وهكذا توسعت الدولة الإسلامية في عهد عمر حتى أصبح يصدق أن يطلق عليها اسم الامبراطورية الإسلامية، كيف لا وقد ورثت امبراطوريتين ولنا أن نتساءل عن سر النصر المطرد، ولن نجد إجابة أصدق وأوفى من المبادئ السامية، واللفتات العظيمة، والسياسة الحكيمة، وصدق النية، والإيمان القوي الذي تصوّره كتب عمر التي كان يوجهها إلى قادة الجيش ومنهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ومن هذه الكتب:[1]

(أما بعد فإني آمرك ومن معك من الاجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو،وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم ومن عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، فإنّا لا ننتصر عليهم بفضلنا ولا نغلبهم بقوتنا.

---

[1] أنظر بعض هذه الكتب: تاريخ الطبري ٤٨٣/٣ وما بعدها، وتاريخ ابن الأثير ٤٥٤/٢

فاعلموا أن عليكم حفظة من الله، يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وانتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا،فرب قوم سلط عليهم شر منهم، كما سلط على بني إسرائيل (لما عملوا بمساخط الله) كفار المجوس (فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا) واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألوه النصر على عدوكم. أسال الله ذلك لنا ولكم).

لله درّك يا عمر، فما أعظم هذه المبادئ، التي تعلمنا أسباب النصر، وشروط تحقق وعد الله (**إن تنصروا الله ينصركم**) إنها منهاج حياة، وطريق فلاح، فما أحوجنا اليوم أن نعود إلى ذلك المعين - معين السلف الصالح — عسى الله أن يجعل لما نحن فيه فرجاً ومخرجاً.. فهذه سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً..

٢- وضع أسس نظام الحكم:

إن أمور التنظيم وسياساتها لا تنشأ من فراغ بل حسب الحاجات التي تقتضي وجود مثل هذه السياسة التنظيمية فكلما جدت حاجة وجد ما يسد تلك الحاجة، ونظام الحكم الذي تبلورت صورته في عهد عمر رضي الله عنه، لم يوضع دفعة واحدة،بل كان بالتدريج وحسب ما تقتضيه القضايا المستجدة ومن أهم هذه الأسس:

(أ) الخلافة:

أول من تسمى باسم الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولذلك يعتبر هو أول من وضع هذا النظام بعد استشارة الصحابة بذلك، والجديد في عهد

عمر هو وضع الأسس وتحديد صلاحيات الخليفة وعلاقته مع رعيته، وكل ذلك مستمد من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته ومن أهم مظاهر نظام الخلافة[1].

* إن الخليفة يجمع بين الإمارة والإمامة، بمعنى أن بيده السلطة الدينية والدنيوية.

*سلطان الخليفة مستمد من الأمة لأنه يمثلهم، ولذا يجب أن يوافق الشعب على الخليفة، وإلا لم يكن خليفة، والموافقة تكون بالبيعة. وكذا يحق للشعب أن يبين للخليفة خطأه وينبهه له ويجب على الخليفة أيضاً أن يشارك الشعب بالشورى.

* الخلافة ليست وراثية فيختار لها الأكفأ والأنسب لمصلحة الأمة والدين.

(ب) **الولاية**: وضع عمر بن الخطاب نظام ولاية الأمصار الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين بشكله النهائي.

أما أبو بكر فقد وضع مبادئ هذا النظام الأولي بإرساله الجيوش للفتوح، وعلى رأسها قائد الجيش، وقائد الجيش عند أبي بكر هو الذي يدير المقاطعات التي يفتحها.

على أن عمر بن الخطاب وضع نظام الولاية بشكل مستقر، ففي عهده سمي الوالي أو العامل بالأمير (وأول من سمي بالأمير هو المغيرة بن شعبة) ثم سرى هذا اللفظ على غيره من القواد أو الولاة.

---

[1] انظر تفصيل هذه المظاهر كتاب الدولة الأموية.د.يوسف العش، ص ٧-٨.

وكان للأمير في البداية سلطان الخليفة في مقاطعته وفي يده السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية، لكن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه فصل هذه السلطات الثلاث بعضها عن بعض وترك للأمير السلطة التنفيذية وسلطة الإمامة في المسجد.وفصل عنه القضاء ، فعين قضاة في الأمصار،وفصل عنه الخراج فعين أصحاباً للخراج والصدقات.

على أن هؤلاء الولاة والقضاة والعمال، مرجعهم ومردهم إلى الخليفة، فهو الذي يُعينهم وهو الذي يعزلهم. واستمر النظام على هذا الشكل حتى أواخر الخلفاء الراشدين[1].

وهذا النظام كما نلاحظ يجمع بين ايجابيات النظامين المتعارف عليهما حديثاً لدى الدول وهما النظام المركزي والنظام اللامركزي، كأسلوبين من أساليب الإدارة الحديثة، ولكن لكل منهما ايجابيات وسلبيات، فجاء عمر بن الخطاب رضوان الله عليه بهذا الأسلوب المبتكر من أجل إعطاء الوالي شيئاً من الاستقلالية وهو في الوقت ذاته يحافظ على وحدة الدولة السياسية والعسكرية والاجتماعية.

(ج) بيت المال:

أول من اتخذ بيتاً للمال عمر بن الخطاب، وكان ايراده من زكاة المسلمين، وجزية أهل الذمة، وخمس الغنائم،ومواريث من ليس لهم وارث من موتى المسلمين.

ومن أجل تنظيم أموال بيت المال فقد دوّن الدواوين لحصر لأسماء

---

[1] الدولة الأموية، ص ١٠

المستحقة وفرض الاعطيات[1]، (وهي أموال تعطى لبعض الناس إكراماً لهم، لقاء خدمات عظيمة وتضحيات جليلة قدموها في سبيل هذا الدين).

٣- نشر العلم وانتشار العلماء:

حرص عمر بن الخطاب رضي الله عنه على نشر العلم في أطراف العالم الإسلامي،وخاصة تعليم القرآن الكريم والفقه. لأن في ذلك قيام الدولة وحياة الأمة.

فقد أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا موسى الأشعري بإقراء أهل البصرة كتاب الله أثناء ولايته إياها، فقد روى عنه أنه كان يقول لأهل البصرة: إن أمير المؤمنين عمر بعثني إليكم لأعلمكم كتاب الله عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم[2].

وكان رضي الله عنه يرسل بعض الصحابة ليعلموا الناس الفقه أيضاً روى ابن سعد عن أبي الأسود الدؤلي قال: قدمت البصرة وبها عمران بن الحصين أبو النجيد، وكان عمر بن الخطاب بعثه يفقه أهل البصرة[3]

ولقد كان شأن البصرة في هذا كشأن باقي الأمصار الإسلامية الأخرى.

اغتيال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

رغم أن عدل عمر رضي الله عنه بلغ الآفاق، وأصبح مضرب المثل،

---

[1] انظر طبقات بن سعد ٢٩٦/٣ ـ ٣٠٠، وانظر أيضا: تاريخ ابن الأثير ٥٠٢/٢ ـ٥٠٤

[2] انظر: حلية الأولياء وطبقاء الإصفياء للأصفهاني، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٨، وانظر أيضا: مدرسة الحديث في البصرة، ص ٣٦.

[3] طبقات ابن سعد ١٠/٧

والعدل يفرز الطمأنينة ـ كما قال الأعرابي ـ عدلت فأمنت فنمت يـا عمـر إلا أن ذلك ما كان ليمنع يد الغدر والحقد أن تمتـد إلى عمـر رضـي الله عنـه لتضع حداً لحياة هذا العملاق العظيم.

وقضية ذلك مشهورة ذكرها المؤرخون والرواة ونحن نسوق لك خلاصة ما جاء في ذلك[1]:

حينما كان المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ والياً علـى الكوفـة فـرض خراجاً على أصحاب الصنائع، وكان ضمن هـؤلاء صانعـاً عنـده عـدد مـن الحرف، فقد كان حـداداً نقاشـاً نجـاراً، ففـرض عليـه المغـيرة مائـة درهـم في الشهر، خراجاً،(وهي أشبه بالضريبة، ولكنها تفرض على غير المسلمين لقـاء حمايتهم، أما المسلمون فيدفعون الزكاة).

فجاء الغلام عمر يشتكي شدة الخراج، فقال له عمر: ما خراجك بكثير، فانصرف ساخطاً يتذمر. ثم دعاه عمر بعد ليالي وقال له: بلغني أنك تستطيع صنع رحى تطحن بالريح، فاصنع لنا. فالتفت إلى عمر عابساً وقال: لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها. فلمـا ولى قـال عمـر لأصحابـه توعدنـي العبـد آنفاً. ثم جهز هذا الغلام ـ وأسمه أبو لؤلؤة وكان مجوسياً ـ جهز خنجراً له رأسان نصابه في وسطه، وشحذه وأشبعة بالسم ثم أتى المسجد.

ويروى البخاري عن عمر بن ميمون رضي الله عنه قوله: إنـي لقـائم مـا بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفين قـال: استووا، وحينما قرأ سورة النحل أو يوسف وركع،سمعته يقول: قتلني ـ أو

---

[1] انظر صحيح البخاري ٢/٥٩ ـ ٦١، وتاريخ الخلفاء ص ١٣٢

أكلني ـ الكلب. حين طعنه (وقيل أنه طعنه في كتفه وفي خاصرته).

وسقط عمر بن الخطاب فتناول يد عبد الرحمن بن عوف ـــ وكان ممن يليه ـ فقدمه فأتم الصلاة.

أما أبو لؤلؤة فخرج من بين الناس لا يجد أحداً في طريقه إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنساً. فلما أيقن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه فمات.

وحُمل عمر إلى بيته جريحاً فسأل من قتلني،فأخبروه، فقال : الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام.

ثم دعي الطبيب فسقاه نبيذاً فخرج من جرحه، ثم أتي بلبن فشربه فخرج من جرحه.. فعلموا أنه ميت.

ثم يرسل عمر إلى عائشة ابنه فيقول له: انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام ـ ولا تقل أمير المؤمنين فأني لست اليوم أميراً للمؤمنين ـ وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه.

فذهب فسلم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها تبكي، فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرنه به اليوم على نفسي[1].

وكانت إصابة عمر ـ رضي الله عنه ـ يوم الأربعاء وبقي جريحاً عدة أيام إلى أن توفاه الله قبل نهاية ذي الحجة بأربعة ليالي سنة ٢٣هـ[2]ودفن

---

[1] فتح الباري ٦١/٧

[2] طبقات ابن سعد ٢٦٥/٣

رضي الله عنه إلى جانب صاحبيه، وجعل رأسه بمحاذاة منتصف أبي بكر وكان رأس أبي بكر بمحاذاة كتفي الرسول صلى الله عليه وسلم.

رحمك الله يا ابن الخطاب. يا صاحب رسول الله ــ فلقد كنت في إسلامك عزاً للإسلام وفي خلافتك نصراً له وللمسلمين. وفي وفاتك فجيعة لهذه الأمة.

ومما يلفت النظر أن عمر رضي الله عنه قتل بسبب اتهامه بالظلم ــ حسب الظاهر ــ من قبل الغلام المجوسي. رغم أن عدالة عمر أصبحت مضرب المثل، وكان عمر رمزاً للعدالة، فهو والعدل قرينان حيث ذكر أحدهما ذكر الآخر.

وهذا دليل على أن صاحب الحاجة يرى أنه لا بد من تحقيق حاجته وكل ما عدا ذلك يعتبره ظلماً، وهذه طبيعة البشر، وقد قيل (صاحب الحاجة أرعن) فكم يزلّ الناس في اتهام الآخرين بالحيف والظلم والبعد عن الحق والخطأ في القول والفعل، لا لشيء إلا لأن أفعالهم لم تكن موافقة لرغبات أولئك ويتضح هذا أكثر حينما يكون للإنسان مستند قوي. ولكنه غاب عنه أنه ربما يكون للأخر حجته ومستنده الأقوى!!

وكم يحصل هذا حينما يقدم أحد اقتراحاً مدعماً بالدليل، فلشدة إيمانه بجدوى اقتراحه يظن أن عدم الأخذ به بُعدٌ عن الحق، وإعراض عن الصواب. أفلا يعلم أن اقتراحه هذا قد يكون معارضاً باقتراح آخر له من يؤيده وعليه دليله فليس اقتراحه بأولى من اقتراح الآخرين.

فليت شعري لو أدرك الناس هذه الحقيقة لتقلصت النزاعات والخلافات

ولتوارت الاتهامات بين الناس، فسبحان الـذي خلـق العقـول، وجعـل ذلـك التفاوت في الفـهم والإدراك، والتحليـل والاستنتاج. وصـدق الله العظيـم إذ يقول: (**ولو شاء ربك لجعل الناس أمـة واحـدة، ولايزالـون مختلفـين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم...**)[1].

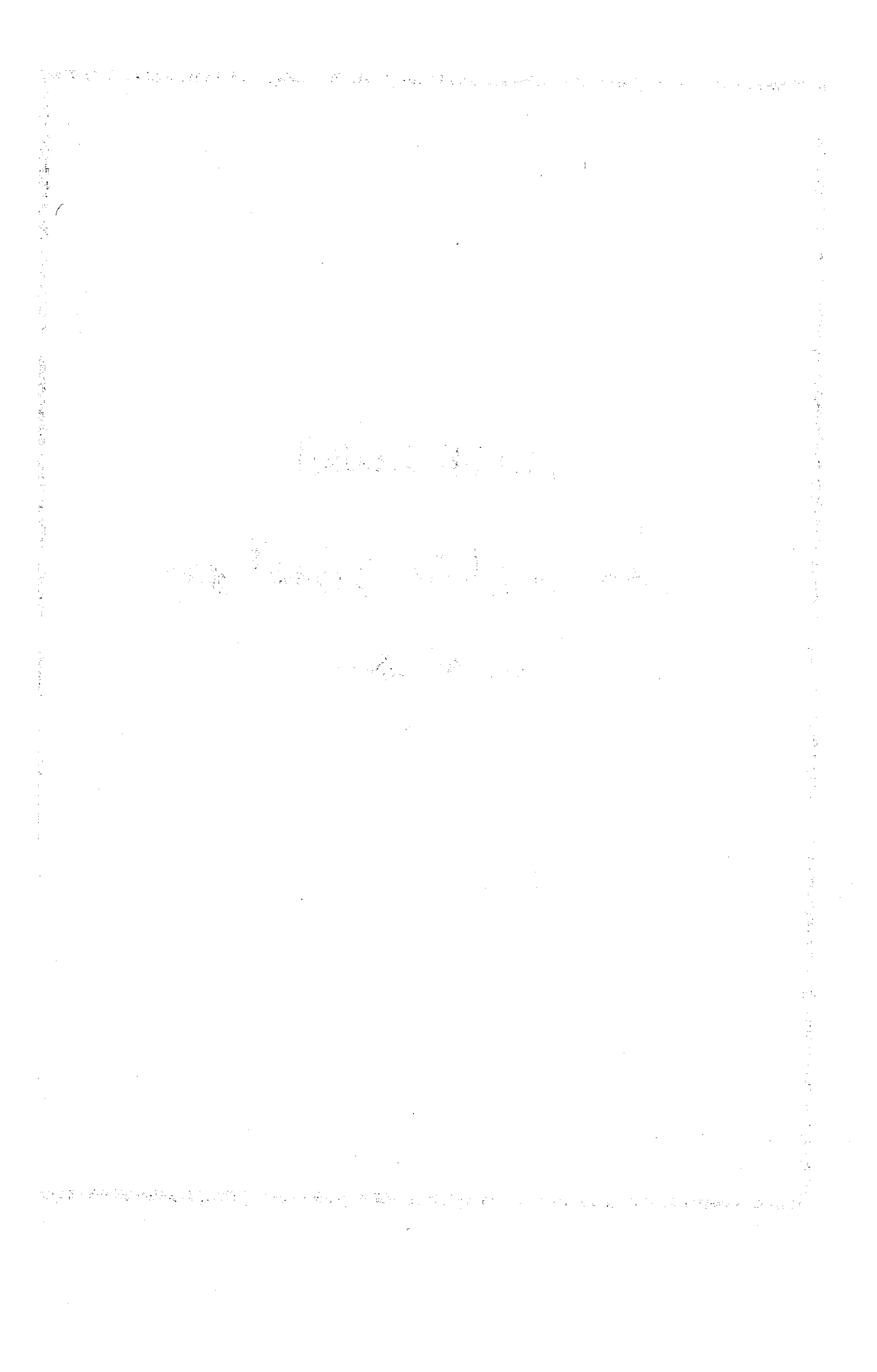
---

[1] سورة هود ـ آية ١١٨ - ١١٩

الخليفة الثالث

ذو النورين عثمان بن عفّان

رضي الله عنه



عثمان بن عفّان

رضي الله عنه

اسمه:

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الأموي يكنى بأبي عمرو،ويقال له أبو عبد الله، وأبو ليلى[1].

أمه: أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وأمها: أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم. أي أن جدته لأمه عمة الرسول صلى الله عليه وسلم.

يلقب بذي النورين لأنه تزوج بأبنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية ،وتوفيت بعيد غزوة بدر- ثم أم كلثوم.وقد توفيت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً. فقال عليه السلام، لو كانت عندي ثالثة زوجتها عثمان[2]. وهذا دليل حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان، ودليل وفاء عثمان لنبيه وتوقيره،وفيه دليل على نفي ما اعتاده الناس من التشاؤم في مثل هذا الموطن.فإن قدر الله ماضٍ، وأمره نافذ ولا رادّ لأمره.

---

(1) تاريخ الخلفاء ١٤٧/١

(2) طبقات ابن سعد ٥٦/٣

إسلامه:

اسلم عثمان بدعوة من أبي بكر الصديق رضي الله عنهما[1] فقد تتبع عثمان وطلحة أثر الزبير، فدخلا على الرسول صلى الله عليه وسلم، فعرض عليهما الإسلام وقرأ عليهما القرآن وانبأهما بحقوق الإسلام ووعدهما الكرامة من الله فأمنا وصدقا. وكان إسلام عثمان مبكراً قبل دخول الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الأرقم[2] ويذكر أنه حين أسلم كمل به عشرة من المسلمين.

صفاته:

(ا) الصفات الخِلْقية:

ذكر ابن سعد صفاته رضي الله عنه عن عدد من الرواة فقال لم أر بينهم اختلافاً فقالوا:

(كان رجلاً ليس بالقصير ولا بالطويل، حسن الوجه رقيق البشرة كبير اللحية عظيمها، أسمر اللون، عظيم الكراديس - الأطراف - بعيد ما بين المكنبين، كثير شعرة الرأس، يضفر لحيته، وكان يشد أسنانه بالذهب)[3].

(ب) الصفات الخلقية:

كان رضي الله عنه كباقي كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم الخلق رفيع التهذيب عالي التربية. كان شديد الحياء - والحياء شعبة من الإيمان ــ يصفه أحد أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول: (ما

---

(1) السيرة النبوية ١/٢٣٢

(2) ابن سعد ٣/٥٥

(3) ابن سعد ٣/٥٨

رأيت أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حدث أتم حديثاً ولا أحسن من عثمان بن عفان، إلا أنه كان رجلاً يهاب الحديث[1].

ويروي ابن سعد بسنده عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أصدق أمتي حياء عثمان)[2].

وتذكر بعض الروايات عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله)[3].

تضحيته:

لقد ضحى رضي الله عنه بنفسه وماله في سبيل الله ومن أجل رفع راية الحق.. ضحى في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم واستمر كذلك حتى سقط شهيداً للحق..

أما عن تضحيته بنفسه فقد بدأها بعد أن أعلن إسلامه مباشرة، يروي ابن سعد بسنده: أن عثمان لما أسلم أخذه عمه الحكم، فأوثقه رباطاً وقال: أترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث؟ والله لا أحلك أبداً حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين. فقال عثمان: والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه[4].

ويستمر في تحمل المشاق فيهاجر إلى الحبشة بأهله (رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (صحبهما الله إن عثمان لأول

---

(1) ابن سعد ٣/٥٧

(2) نفس المرجع ٣/٦٠

(3) تاريخ الخلفاء ص ١٥٣

(4) ابن سعد ٣/٥٥

من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط)[1].

ويذهب إلى مكة يوم الحديبية مخاطراً بنفسه لتنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحبسه قريش، ثم يكون الصلح فيعود عثمان فيجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بايع عنه[2].

وأما عن تضحيته في ماله فمنها أنه حفر بماله بئر رومة، وجهز جيش العسرة[3] حيث تبرع بتجهيز ثلاثمائة بعير وقيل أنه أتى بألف دينار وضعها في حجر الرسول صلى الله عليه وسلم[4].

كيف آلت الخلافة لعثمان رضي الله عنه:

أورد الرواة والمؤرخون روايات متقاربة في بيعة عثمان رضي الله عنه ونحن نسوق لك خلاصة ما رواه البخاري في صحيحه عن عمر بن ميمون رضي الله عنه[5] قال المسلمون لعمر — لما طعن وأشتد ألمه —: أوصي يا أمير المؤمنين.. استخلف. قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر — أو الرهط — الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، فسمي: علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن.. ثم أوصى بالمهاجرين والأنصار خيراً.

---

(1) تاريخ الخلفاء ص ١٥١

(2) وهذه بيعة الرضوان التي نزل فيها قول الله تعالى:(**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) سورة الفتح : آية ١٨**

(3) فتح الباري ٥٢/٧

(4) انظر : شرح ابن حجر على البخاري ، ص ٥٤/٧

(5) انظر : فتح الباري ٦١/٧

فلما فرغ من دفنه رضي الله عنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم.

فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي

فقال طلحة : قد جعلت أمري إلى عثمان

وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف.

فقال عبد الرحمن : أيكم تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه، فسكتا (علي وعثمان) فقال عبد الرحمن: افتجعلونه إليّ (أي لأحكم بينكما).

قالا نعم.

فأخذ بيد أحدهما (علي) فقال: لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم في الإسلام ما قد علمت. فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرتُ عثمان لتسمعنّ ولتعطين (أي البيعة).

ثم خلا بالآخر فقال مثل ذلك. فلما أخذ الميثاق، قال: ارفع يدك يا عثمان فبايعه، فبايع له علي.. ثم دخل الناس فبايعوه.

وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قد قام باستطلاع سري لمعرفة رأي الناس حيث خرج متلثماً فكان لا يسأل أحداً عن رأيه فيمن يكون الخليفة إلاّ ويقول عثمان[1].

ويشير القاضي أبو بكر بن العربي إلى تحري عبد الرحمن فيقول:) ثم جعلها عمر شورى، فأخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه من الأمر حتى ينظر

---

[1] الإمامة والسياسة، الدينوري، ص ٣٠

يتحري فيمن يقدم.. فقدم عثمان)[1].

وهكذا بويع عثمان بن عفان خليفة ثالثاً للمسلمين في آخر يوم من سنة ٢٣هـ، فاستقبل خلافته في الأول من محرم عام ٢٤هـ

شبهه وردها:

صوَّر بعض الكتاب تشاور أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم في تحديد الخليفة الجديد، بصورة الخلاف العشائري وأن الناس قد انقسموا إلى حزبين حزب أموي وحزب هاشمي.يقول:د. السيد عبد العزيز سالم في كتابه (تاريخ الدولة العربية (بعد أن يعرض ما نقلته كتب التاريخ من وصية عمر في كيفية اختيار الخليفة: (فخرجوا وقد أيقن علي بن أبي طالب أن الأمر قد خرج من الهاشمية ما دام عمر قد أوصى بأن يختار المرشحون من كان عبد الرحمن بن عوف في جانبه لأن عثمان كان يرتبط بعبد الرحمن برابطة المصاهرة، كما أن سعد بن أبي وقاص كان ابن عم عبد الرحمن بن عوف..)[2]

وفي معرض حديثه عن إنسحاب ثلاثة من المرشحين وبقاء ثلاثة يقول: (وهكذا انقسم الناس إلى فريقين فريق يؤيد عثمان وفريق يؤيد علي، وبمعنى أصح انقسموا إلى حزبين: حزب أموي وحزب هاشمي[3]. وهو تصور موهوم واستنتاج مردود لا دليل عليه، إذ أنه ليس نابعاً من ذلك الجو الذي كان يعيشه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما كان المهاجر

---

(١) العواصم من القواصم ، ص ٥٧

(٢) تايخ الدولة العربية ،د.سيد عبد العزيز سالم ٢٧٥

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٧٧

يقف مع الأنصاري ضد أبيه وأخيه وابن عمه وبني عشيرته،وليس نابعاً من تصور هؤلاء الصحب وهم يضحون بكل شيء من حطام الدنيا في سبيل أن يسلم لهم دينهم، ولا من المعرفة الصحيحة لهؤلاء النخبة من المبشرين بالجنة، فالاحداث الكثيرة التي رويت عن هؤلاء تثبت أن هؤلاء كانوا أكبر بكثير من أن ينطلقوا من هذه الزاوية الضيقة في معالجة أمورهم فليست القضية قضية تمثيل عائلي أو عشائري، فهم أهل الشورى لمكانتهم في الإسلام لا غير.

ثم إن الكاتب يناقض نفسه بعد أن يذكر هذه الشبهة الخطيرة، فيعتمد في سرده لكيفية الاختيار نصوصاً تثبت أن الاختيار إنما كان شورى من جميع الناس خاصتهم وعامتهم يقول الكاتب[1]: (ولكنه لم يشأ أن يعلن اختياره للخليفة قبل أن يعرف مشاعر الناس، ويستشفّ رأيهم دون أن يعرفوه، فخرج يتلقى الناس في أنقاب المدينة متلثماً لا يعرفه أحد، فما ترك أحداً من المهاجرين والأنصار وغيرهم من ضعفاء الرأي ورعاعهم إلا سألهم واستشارهم، أما أهل الرأي فأتاهم مستشيراً وتلقى غيرهم سائلاً يقول: من ترى الخليفة بعد عمر؟ فلم يلق أحداً يستشيره ولا يسأله إلا ويقول عثمان، فلما رأى اتفاق الناس عاد إلى المسجد.. الخ). انتهى.

وهذا الكلام يصور حقيقة ما جرى .إذن فلم يكن اختيار عبد الرحمن لعثمان لقرابته ومصاهرته، ولم يكن هذا هو رأي عبد الرحمن وحده بل كان رأي المسلمين جميعا الخاصة من أهل الشورى والعامة.

وأستطيع أن أقول بأن هذا الاستطلاع الواسع لآراء الناس بشكل سري ينفي

[1] تاريخ الدولة العربية ، د. سيد عبد العزيز سالم ص ٢٧٧

نفياً قاطعاً أية شبهة تدعى ضد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بل وتثبت نزاهته وحرصه الشديد على تأدية المهمة الموكلة إليه، وتبليغ الأمانة التي لزمت عنقه.

الفتنة التي أودت بمقتل عثمان رضي الله عنه:

لقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عثمان عن بلوى تصيبه[1] وبشره أيضا الرسول صلى الله عليه وسلم بالشهادة هو وعمر ـ كما روى البخاري ـ أن الرسول صلى الله عليه وسلم صعد أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف فقال أسكن أُحد فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان}[2]

وحدثت الفتنة ووقعت البلوى، ونحن لا بد لنا من تصوير هذه الفتنة باختصار على ضوء الروايات الصحيحة، وبما يجعلنا لا نخوض في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]

* سميت الفتنة، لما فتنت به الناس، وامتحنت به دينهم وأخلاقهم وثباتهم على المبدأ والعقيدة. فقد فرقت الناس شيعاً وأحزابا. وصدق الله العظيم: ﴿والفتنة أشد من القتل ﴾[4].

*الروايات الواردة في سرد أحداث الفتنة كثيرة ولكنها متناقضة ومتضاربة ولذلك فلا بد من إخضاع هذه الروايات لعملية النقد بنوعية الداخلي

---

(١) فتح الباري ٥٣/٧

(٢) فتح الباري ٥٣/٧ وأبو داود : كتاب السنة ٢١١/٤ رقم ٤٦٤٨، وأحمد ١١٢/٣

(٣) من أحسن ما كتب في هذا الموضوع كتاب الدولة الأموية، للأستاذ الدكتور يوسف العش. وسنعتمد على بعض ما كتب فيما سنذكر.

(٤) سورة البقرة : آية ١٩١

والخارجي .. أما الخارجي فنُحَكِّم فيه علم مصطلح الحديث لنعرف صحيح هذه الروايات من كاذبها.

ثم نأتي بعد ذلك إلى عملية النقد الداخلي للأخبار، من حيث هي أخبار تتلاءم وتنسجم في صحتها وضبطها، وتتسق في منطقها، كذلك من حيث موافقتها للروايات الصحيحة التي اقتصرت على ذكر جزئيات من أخبار هذه الفتنة.مما ذكرته كتب الحديث المعتمدة، أو كتب التاريخ المسندة.

* كتب عدد من الاخباريين المسلمين مجموعة من الكتب[1] ذكروا فيها أخبار هذه الفتنة وما يتعلق بها من أحداث.

ولكن لم يصلنا إلا ثلاث روايات متكاملة لكبار هؤلاء المؤرخين، وهم:

١- رواية أبي مخنف لوط بن يحيى (ت ٢٥٧هـ) وقد نقل لنا روايته البلاذري.

٢- رواية محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ) ونقل لنا روايته البلاذري والطبري.

٣- رواية سيف بن عمر التميمي (ـ ١٨٠هـ تقريبا) ونقل لنا روايته الطبري.

أما ما تبقى من الأخبار التي وصلتنا فلا تذكر سرداً للحادثة بل تكتفي بذكر جزئيات لبعض وقائعها بعضها نقل لنا بأسانيد صحيحة، وبعضها ليس كذلك. وهذه الأخبار المجزّأة متفرقة في كتب السنة والسيرة والتاريخ. والفضائل والبلدان .. الخ.

ونعود الآن لنقد هذه الروايات:

---

(1) انظر : الدولة الأموية،د، يوسف العش، ص ٢٥ ــ٢٦

(ا) **النقد الخارجي:**

والحكم في ذلك ـ كما قلنا ـ علم مصطلح الحديث. فلو نظرنا إلى هؤلاء الرواة الثلاثة، لوجدناهم يتجهون اتجاهات مختلفة لها أهميتها في نظر علماء الحديث من ناحية الجرح والتعديل، وما ينبني على ذلك من قبول رواياتهم أوردها.

***فأبو مخنف:** شيعي لا يعز عليه أن يظهر عثمان بمظهر الخليفة الذي كثرت سقطاته، فاستحق ما استحقه، وأن يبين أن طلحة كان من المحرضين على عثمان ، والثائرين عليه. ويظهر علياً بمظهر من يعطف على عثمان ويدافع عنه مع غضبه من أفعاله وأقواله، ومن هنا فإنا حينما نحكم عليه من خلال علوم الحديث فلا نجد أساساً إلا القاعدة التي تقول: إن صاحب البدعة أو المذهب السياسي لا يقبل خبرة فيما يدعم بدعته [1] هذا في صاحب البدعة الثقة فإننا لا نقبل هذا النوع من رواياته.فما ظنك براوٍ اعتبره العلماء ضعيفاً ويروى ما يؤيد بدعته؟ فهذا أحرى أن لا تقبل روايته.

***وأما الواقدي:** فنرى في رواياته التشنيع على عثمان، حتى أن الطبري تورع عن نقل كثير من أخباره لبشاعتها، وما نقله عنه فيه الكثير من الطعن على عثمان. ولا يتورع الواقدي بإظهار الصحابة بمظهر المتآمرين على عثمان، ويخص بالذكر منهم طلحة، وأن علياً مخالف لعثمان، وأما محمد بن أبي بكر فهو عنده القاتل.

---

[1] انظر الكفاية في علم الرواية، للبغدادي، ص ١٩٥، وجميع كتب علوم الحديث في بحث الجرح والتعديل.

وبعرض الواقدي على أهل الجرح والتعليل ،نجدهم يحذروننا من الواقدي كل التحذير، فالنسائي والشافعي يتهمانه بالكذب والوضع وهي أشد تهمة تلصق بمن يروي الأخبار، ويحضُ البخاري وغيره على عدم الأخذ بروايته، ويقول الذهبي: استقر الاجماع على وهن الواقدي[1].

* **أما سيف بن عمر**: فنجده يسلك مسلكاً غير مسلك أبي مخنف والواقدي فيعرض تسلسلاً تاريخياً ليس فيه تهمة للصحابة بل تبرئة لهم.

ومع ذلك نجد أن بعض المحدثين يعدونه ضعيفاً ، ويتركون الرواية عنه لأنه متهم بالزندقة.

ولكن حاصل التحقيق في سيف، أن اتهامه بالزندقة لا دليل عليه، ولم يتهمه أحد ممن عاصره،وإنما اتهمه المتأخرون كابن حبان والحاكم.

وأم اتهامه بالكذب فمنشؤه وقوع أغلاط في مروياته بالحديث، وذلك لعدم عنايته بالحديث، ولم يظهر في رواياته ما يدل على تعمده الكذب.

وأما في التاريخ فقد عني به ، واعتمد علماء الحديث على كتابه (الرد والفتوح) ونقل الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري نقولا من هذا الكتاب استدل بها[2].

والنظر في روايات سيف التاريخية يثبت ذلك،لأنه لم يأت في رواياته بشيء

---

[1] وانظر ما قاله عنه العلماء في كتاب: الضعفاء الصغير، للبخاري، ص ١٠٤، والجرح والتعديل، ابن أبي حاتم الرازي ٢٠/٨ ٢١، وكتاب المجروحين، ابن حبان ٢٩٠/٢، وتهذيب التهذيب، ابن حجر ٣٦٣/٩ - ٣٦٨. حيث فصل ابن حجر جميع أقوال العلماء فيه.

[2] من كلام لأستاذنا الدكتور نور الدين عتر ، في محاضراته بجامعة دمشق عام ١٩٧١

يخالف الثقات، وإنما جاءت رواياته موثقة ومفصلة لبعض جزئيات الحوادث التي رويت بطرق وأسانيد صحيحة مقبولة. وهذا دليل الصدق في النقل.

وما أحسن قول الحافظ ابن حجر في حقه. (ضعيف في الحديث عمدة في التاريخ)[1] والجدير بالذكر أنه ليس أحد من هؤلاء الثلاثة له رواية في بعض الكتب الستة إلا سيف بن عمر هذا.

ولذلك فإنا نستطيع أن نطمئن إلى روايته نوعاً ما، مع أخذ الحذر حيث لا بد أن يكون ذلك موافقاً لبعض المقتطفات الصحيحة من الأخبار التي وردت هنا وهناك.

وبذلك نستطيع أن نخرج بسرد لحادثة الفتنة يمكن أن نطمئن إليها بإذن الله، وتعطينا اقرب صورة صحيحة إلى الواقع.

(ب) النقد الداخلي:

ويظهر ــ كما قلنا ــ من خلال مقابلة هذه الروايات بالمقتطفات من الأخبار الصحيحة التي ذكرت لنا وليس فيها تفصيل وافٍ وسرد تام لهذه الحادثه.

ومحور الكلام يدور حول وجود يد خفية كانت وراء الفتنة تحركها فالروايات المفصلة للحادثة والروايات الجزئية تكاد كلها تجمع على قضية هامة هي وجود هذه اليد الخفية.ولكن الاختلاف بينهما هو في تحديد هذه اليد الخفية. ومن هنا نستطيع أن نوجه النقد إلى الروايات التي تتعارض مع الأخبار الصحيحة في تحديد هذه اليد أو تتعارض مع المعقول.

إن الواقدي وأبا مخنف يوضحان لنا خبر تلك الأيدي، فإذا هي أيدي

---

[1] تقريب التهذيب ١/٣٤٤

الصحابة الذين كانون حول عثمان، كطلحة والزبير، وعائشة ، وعمرو بن العاص ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر، وإذا هم مشتركون في إثارة الناس على عثمان وتحريك الفتنة وتوجيهها[1]

لكن قليلا ً من التفكير يبعد اشتراكهم أو اشتراك بعضهم في الأمر ، فهل يعقل أن يكون طلحة والزبير وعائشة وعمر بن العاص مشتركين في توجيه الفتنة وإضرام نارها،وهم الذين شددوا على الخليفة علي بن أبي طالب في المطالبة بدم عثمان فيما بعد؟

مهما أشتط بنا الفكر وغلبنا سوء الظن فلا يمكن أن نذهب مذهباً نسخر فيه من عقولنا ومعاييرنا. فهذا تناقض في التفكير، وسقوط في الاستنتاج، يقوده الهوى، الذي يعمي الأبصار من رؤية الحقيقة!!

فقد كان في جيش علي ــ بالرغم عنه ـ عدد ممن حاصروا عثمان محاصرة أدت إلى قتله، أما كان هؤلاء المحاصرون يعرفون أن طلحة والزبير وعائشة وعمرو من أصحابهم الذين حركوا الناس وحرضوهم علي عثمان واشتركوا في قتله؟!! فلو كان كذلك لرفعوا صوتهم عليهم يهزؤون بهم ويدفعونهم الحجة، إذ كيف يطالبون بدم عثمان وهم حرضوا على قتله ؟!!

لكن جديين ومنطقيين، ولنستبعد إشتراك هؤلاء الصحابة في تحريك الفتنة

---

[1] والجدير بالذكر أن المستشرقين أخذوا بهذا الرأي وتجاهلوا تماما أو أنكروا الرأي الأخر، وقلدهم في هذه النظرة بعض ممن كتب في التاريخ من أبناء المسلمين وللأسف وهو رأي خطير مؤداه الطعن في كبار أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وإظهارهم بمظهر المتآمرين والقتلة ،هذا بالإضافة إلى أنه رأي ساقط من الناحية العلمية.فليست هنالك رواية صحيحة تؤيد هذا الرأي.

وإثارتها، ثم المطالبة بقتل من حركها وأثارها[1].

لئن كان الواقدي وأبو مخنف لا يقدمان لنا بياناً معقولاً سليماً عن اليد الخفية فإن سيف بن عمر يكشف كشفاً واضحاً. ويستوفي البحث عنها استيفاء تاما، بل يتجاوز ذلك إلى إعطاء بيانات تاريخية تعرض لنا تطور الحادث في اتجاهه العام، وتضعه بين التيارات التاريخية في حوادث ذلك العصر[2] وهذه اليد الخفية لشخص اسمه عبد الله بن سبأ، وإليه تنسب الفرقة السبائية[3] ذات العقيدة الشاذة

وبعد:

فقد تبين لنا سقوط روايتي الواقدي وأبي مخنف ولم يبق أمامنا إلا رواية سيف التي لا تعارض المقتطفات الصحيحة وتبقى في إطار المعقول. ولذلك لا بد من عرض ملخص لرواية سيف بن عمر مع العناية الشديدة وذلك في ضوء المقتطفات الصحيحة.

ملخص رواية سيف بن عمر في الفتنة ومقتل عثمان:

كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء فأسلم زمن عثمان،ثم تنقل بين بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام، فلقي من استجاب له فيما عدا الشام، حيث أخرجوه حتى أتى مصر فاستقر

---

(١) انظر : الدول الأموية: د، يوسف العش، ص ٥٦، - ٥٧

(٢) هذا ، وقد افردت رواية سيف بن عمر في كتاب مستقل قيم بعنوان الفتنة ووقعة الجمل - جمع وتصنيف أحمد راتب عرموش.

(٣) انظر خبر هذه الفرقة في كتاب الملل والنحل، الشهرستاني ١/١٧٤

عندهم، وبدأ ينشر سمومه[1].

وكان مما يقوله لهم:أعجب ممن يزعم أن عيسى سيرجع، ويكذب بأن محمداً سيرجع. وقد قال الله عز وجل: ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى

---

[1] انظر تاريخ الطبري(تاريخ الأمم والملوك)، بتحقيق محمد أبو الفضل، دار سويدان بيروت لبنان ، ٣٣١/٤ وص ٣٤٠ وما بعدها. ومن العجيب أن بعض الناس يزعم بأن عبد الله بن سبأ شخصية وهمية ليس له وجود حقيقي رغم أن جميع كتب التاريخ ذكرته، ثم إن كتب الرجال والجرح والتعديل. فصلت فيه القول بما لا يدع مجالا للشك ليس في معرفة عينه،بل وفي معرفة حاله وأخباره ، ولا أدري كيف يصل الأمر بناقد أن يدعي جهالة العين لابن السوداء مع أنه معلوم الحال.فمعرفة حالة مؤكدة لمعرفة عينه،كما هو معروف عند علماء الجرح والتعديل من باب أولى.واكتفى بذكر بعض كتب الرجال – من علم الحديث – التي ترجمت لابن سبا وذكرت حاله:

* قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٤٢٦/٢ :عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ضال مضل. قال الجوزجاني زعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي.

* وقال ابن حجر في لسان الميزان ٢٨٩/٣: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة وعن الشعبي قال: أول من كذب عبد الله بن سبأ وعن أبي الجلاس قال: سمعت علياً يقول لعبد الله بن سبأ : إن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً وأنك لأحدهم.

* وذكر الذهبي أيضاً في كتابه (المغني في الضعفاء) ٣٣٩/١ فإذا كانت كتب رجال الحديث وكتب التاريخ وكتب العقيدة تذكر عبد الله بن سبأ فهل يبقى بعد هذا شك في وجود هذا الرجل؟!! إني لا أجد لهؤلاء مثلاً إلا قول الشاعر:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

والجدير بالذكر أن اعتناق ابن سبأ الإسلام ظاهراً، وعمله ضد الإسلام والخليفة سراً ، يشبه إلى حد كبير ما فعله مؤسس حركة يهود الدونمة (سبتاي سيفي) الذي أظهر الإسلام وهو يدعو إلى اليهودية، ثم أسفرت حركته هذه عن إسقاط السلطان عبد الحميد مما كان مقدمة لإسقاط الخلافة.

معاد ﴾[1] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى. فقبل أهل مصر ذلك، ووضع لهم عقيدة الرجعة.

ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء ــ ومن أظلم ممن لم ينفذ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثب على وصي رسول الله وتناول أمر هذه الأمة ويقصد بذلك عثمان.

ثم قال لهم بعد ذلك صراحة: إن عثمان أخذها بغير حق،وهذا وصي رسول الله فانهضوا في هذا الأمر فحركوه.

وقد وجه أصحابه لتحقيق ذلك عن طريق إظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك بالطعن في ولاة الأمصار ومظالمهم.

وكتب إلى أتباعه في الأمصار لتنفيذ هذا الأمر تحت شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأخذ أتباعه في كل قطر يكتبون ــ كذباً وبهتاناً ــ عن المظالم والمفاسد التي عندهم ويرسلونها إلى الأقطار الأخرى. فتقرأ الكتب على مسمع من الناس فيقول أهل كل قطر: إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء .. فذاع في كل مكان أن المفاسد والبلايا قد عمت، وأن الحال قد بلغ من السوء مبلغه، وأصبح أصحاب كل قطر يتصورون بأن الأقطار الأخرى تعاني من الظلم والفساد وسوء الحال إلا قطرهم، لأنهم لا يرون شيئاً من ذلك. وشعر عثمان بأن شيئا يحاك في الأمصار فكتب إليهم:

(أما بعد : فإني آخذ العمال بموافاتي في كل موسم ، وقد سلطت الأمة منذ

---

[1] سورة القصص : آية ٨٥.

وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يرفع عليّ شيء ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته، وليس لي ولعيالي حق قبل الرعية إلا متروك لهم، وقد رفع إليّ أهل المدينة أن أقواماً يشتمون وآخرين يضربون[1]، فيا من ضرب سراً وشتم سراً، من أدعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم، فليأخذ بحقه حيث كان، مني أو من عمالي، أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين).

فلما قرئ في الأمصار بكى الناس ودعوا لعثمان، وقالوا إن الأمة لتمخض بشر. والواقع أنها كانت تمخض بشر كبير، فابن سبأ ما زال يغري قلوب الناس ويحرضهم على التمرد ضد الخليفة، على أن المكان الذي رتع فيه ابن سبأ هو في مصر. وكان له أتباع في الكوفة والبصرة، وهو ينسق بينهم ويوجههم حسب ما يريد ويخطط.

وهكذا سيرهم جميعاً إلى المدينة. إلى عثمان ليحاجوه في المظالم ــ على زعمهم ــ ويذكروا له أخطاءه، ويحملوه على الاعتراف بها فإن فعل زعموا بعد ذلك للناس أنه لم يتركها ولم يتب، فيحل لهم بذلك دمه، فيتولى الخلافة من هو أحق بالخلافة منه ــ بزعمهم ــ

وكان قد أقنع أهل مصر بأن علياً أحق بالخلافة منه، وأقنع أهل البصرة بأن طلحة أحق بها، وأقنع أهل الكوفة بأن الزبير أحق بالخلافة. وذلك حتى إذا ما تم له قتل عثمان اختلف الناس فيما بينهم فتبقى الفتنة قائمة بين المسلمين.. قاتل الله خبث اليهود وكيدهم ومكرهم.

فخرج من كل مصر ما يقرب من (١٠٠٠) شخص لهذا الغرض، ووصلوا

---

[1] يشير بذلك إلى الأخبار التي كانت تأتي عبر الكتب تتحدث عن المظالم في الأمصار.

المدينة وأرسل كل وفد منهم إلى صاحبه، أهل مصر إلى علـي وأهـل البصـرة إلى طلحـة،وأهـل الكوفـة إلى الزبـير، ارسـلوا بعـض رجـالهم يطلبـون منـهم السماح لهم بالدخول إلى المدينة حتى يطلبوا مـن عثمـان عـزل بعـض الـولاة ولكن هؤلاء الصحابة ردوهم وطردوهم، وقالوا : (بيض سيفرخ)[١].

وتذكر بعض الروايات الصحيحة أن عثمان خرج إلى هـؤلاء النـاس، خـارج المدينة، فدعاهم إلى الاحتكام إلى كتـاب الله.. فـاحتكموا ورد عليـهم كثـيرا من التهم الباطلة وأقنعهم بذلك. وأقرهم على أخطاء يسـيره ، واستغفر ربـه عنها، وتعاهدوا واتفقوا، وأخذ عليهم ألا يشـقو عصـا الطاعـة، ولا يفـارقوا جماعة[٢].

ثم غادروا أماكنهم باتجاه بلدانهم ــ كل حسب جهته ــ وظن المسلمون مـن أهل المدينة أن الأمر قد انتهى، فخرج كثير منـهم إلى الحـج وكـان ذلـك في شهر ذي القعدة.

ولكن المتمردين بعد ذلك رجعوا إلى المدينة، فلم يشعر من بقي في المدينة من أهلها إلا والتكبير في نواحيها. فأقبل اليهم علي وقال: ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟

قال أهل مصر: أخذنا مع البريد كتاباً موقعا من عثمان يأمر عامله بقتلنا قـال علي: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصـرة بخـبر الكتـاب المرسـل إلى والي مصر وقد سرتم مراحل على طريق بلدكم؟ هذا والله أمـر أبـرم بالمدينـة.

---

[١] مثل يضرب في الأمر المكتوم الذي سيظهر قريباً.

[٢] انظر ذكر هذه المآخذ والرد عليها في كتاب العواصم من القواصم، ص ٦٣ وما بعدها.

فقال المتمردون: ظنوا ما شئتم فلن نحيد عن طلب إعتزال عثمان، واستقروا بالمدينة.

وهنا يجدر بنا أن نقف قليلا عند قصة الكتاب فإن أدلة كثيرة تكشف لنا أن هذا الكتاب مزور على عثمان رضي الله عنه منها:

١- سؤال علي لهم: كيف علم أهل البصرة وأهل الكوفة بذلك، فهذا يثبت أن الأمر فعلاً قد اتفق عليه في المدينة. لأن طريق أهل مصر كان باتجاه معاكس لطريق أهل الكوفة والبصرة!!

٢ جاء في بعض الروايات الصحيحة أن حامل هذا الكتاب كان يسير على مقربة من أهل مصر، فيتعرض لهم، ثم يفارقهم، ثم يرجع إليهم ثم يفارقهم ويسبقهم حتى قالوا له: مالك؟ إن لك لأمراً ما شأنك؟.

فقال : أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه فإذا هم بالكتاب[1] وواضح أن هذا الرجل كان قاصدا أن يُعرف ويثير الشبهة حوله.

٣- إن عثمان قد طلب منهم التحقق من ذلك. فقال: إما أن تشهدوا علي رجلين من المسلمين، أو أن أحلف لكم يميناً أن هذا ليس بكتابي، بل زور علي. ونقش الخاتم على الخاتم. بل طلب منهم أن يحكموا فيه بعض الذين لهم معرفة بالخطوط. ولكن المتمردين أبوا وقالوا قد أحل الله دمك ونقضت العهد والميثاق.

ثم قام عثمان على المنبر ليدافع عن نفسه، فحصبه المتمردون بالحجارة حتى

---

[1] انظر كتاب تاريخ المدينة، ابن شبه ، الجزء الثالث، صفحة ١٣٣ وما بعدها، وتاريخ المدينة ٤/١١٥٠، وانظر أيضاً : كتاب فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل، ص ٤٧١.

سقط مغشياً عليه، فحمل إلى بيته، وجاءه علي وطلحة والزبير يعودونه ويشكون بثهم ثم رجعوا إلى منازلهم، فلا حول لهم ولا قوّة، فقد خرج معظم أهل المدينة إلى الحج ولزم أهل المدينة بيوتهم لا يخرج منهم أحدٌ، ولا يجلس إلا وعليه سيفه خوفاً على نفسه، وحاصر المتمردون المدينة أربعين يوماً.

ولقد كان التوقيت الذي اختاره المتمردون مهمّاً إذ أن كثيرا من أهل المدينة قد خرج إلى الحج في الفترة التي غادر فيها هؤلاء المَرَدَة المدينة وقبل عودتهم إليها ثانياً، بعد ادعاء العثور على الكتاب.

وكتب عثمان إلى الأمصار يستنجد بهم وقال في كتابه عن المتمردين: (إنهم أغاروا علينا في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرمة وأرض الهجرة، وثابت إليهم الأعراب، فهم كالأحزاب أيام الأحزاب) فخرج المسلمون من أهل الأمصار لنجدة عثمان. ولكنهم سمعوا قبل وصولهم بمقتل عثمان فعادوا إلى بلادهم.

وقد قام على حراسة عثمان عدد من أبناء الصحابة منهم الحسن بن علي ومحمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير، فجلسوا بالباب حسبما أمرهم به آباؤهم ووصاهم في ذلك كثير.. ولزم عثمان الدار.

ثم حالَ المتمردون بين عثمان ووصول الماء إليه وجاءت أم حبيبة رضي الله عنها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة لها والماء معها لتوصله إلى عثمان.فقيل لهم إنها أم المؤمنين أم حبيبة، فضربوا وجه بغلتها وقطعوا الحبل بالسيف، فهربت البغلة بأم المؤمنين وكادت يوم ذاك تقتل رضي الله عنها .

وخشي المتمردون قدوم النجدة من الأمصار، فرأوا أنه لاينجيهم إلا قتل عثمان ، لأن الناس سينشغلون بقتله.

فاقتحموا الدار ودخلوها.ودخل رجال لقتله وكان بيده القرآن يقرأ به فكان كلما دخل إليه رجل قال له بيني وبينك كتاب الله فيستحي ويخرج حتى دخل إليه الغافقي فضربه بحديدة، وضرب المصحف برجله، وجاءت زوجته نائلة بنت الفرافصة تحجز عنه أحد المجرمين فضرب يدها فقطع أصابعها وضرب عثمان فقتله.

ثم قتلوا غلماناً لعثمان ونهبوا داره وقصدوا بيت المال لنهبه و لم يستطع أحد من الصحابة أن يقترب منه. فلما كان جوف الليل خرج مروان وأتى بعض الصحابة وبعض النساء والصبيان، ثم حلموا عثمان إلى البقيع فدفنوه فيه ودفنوا بعض غلمان عثمان الذين قتلوا، لكنهم لم يستطيعوا أن يصلوا إلى غلامين آخرين، القيا خارج الدار فأكلتهما الكلاب..

وكان مقتل عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة في الثامن عشر من ذي الحجة عام ٣٥ هـ.

أهم أعمال عثمان رضي الله عنه في خلافته:

رغم الفتنة التي حصلت في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه إلا أن خلافته في أولها وعلى مدار أكثر من ست سنوات كانت فترة اتسمت بأعمال جليلة أقدم عليها عثمان ولعل من أهمها نسخه القرآن الكريم وتوزيعه على الأمصار ثم الاستمرار في الفتوحات الإسلامية في عهده.

١- نسخ القرآن الكريم:

ذكر فيما سبق أن أبا بكر رضي الله عنه جمع القرآن الكريم وعهد بهذه المهمة إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه وكتبت نسخه من القرآن الكريم وحفظت في بيت أبي بكر ثم عمر ثم حفصة.

ولما انتشر الإسلام وعمت الفتوح ودخل في الإسلام أقوام من غير العرب فخشي بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اختلاف الناس بالقراءة أو تحريف شيء من القرآن لفظاً أو أداء.

يروي البخاري[1] بسنده عن أنس بن مالك: (أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة.

فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

فأرسل عثمان إلى حفصة أن ارسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان.

فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف.

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا. حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، ورد عثمان المصحف إلى حفصة، فأرسل إلى

---

(١) فتح الباري ١١/٩

كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق).

إلا أن الباحثين اختلفوا في عدد المصاحف التي استنسخها، والراجح الذي عليه أكثر الباحثين أنها سبعة مصاحف، استبقى واحداً منها عنده وهو الذي سمي بالمصحف الإمام، ووزع سائرها على الكوفة والبصرة والشام واليمن ومكة والبحرين[1].

٢ـ الاستمرار في عملية الفتح الإسلامي:

استمر عثمان خلال السنوات الست الأولى لخلافته على نهج سلفيه في توسيع دائرة الفتوح، ففي عهده رضي الله عنه فتحت البلاد التالية:

(أ) في بلاد فارس:

طبرستان:

وكان فتحها على يد سعيد بن العاص وعدد من الصحابة منهم الحسن والحسين وابن عباس وابن عمر وحذيفة

تركيا:

وكان فتحها سنة (٣٢هـ) على يد عبد الرحمن بن ربيعة بعد إحكام السيطرة على اصطخر وخراسان ونيسابور وغيرها: وكان بعضها قد فتح في عهد عمر إلا أن أهلها ثاروا وحاولوا استعادة أراضيهم فأمر عثمان رضي الله عنه جيوش العراق في البصرة والكوفة بالتوغل في بلاد فارس. ثم التوجه نحو تركيا.

---

[1] أحسن الحديث، د. محمد سعيد البوطي، ص ٣٩

(ب) وأما في جبهة الشام:

ففي السنة الثانية من خلافة عثمان سار معاوية إلى بلاد الروم ففتح عمورية وطرطوس وإنطاكية. وفي سنة(٢٨هـ) فتح معاوية جزيرة قبرص.

(ج) جبهة مصر وشمال إفريقيا:

حيث أمر عثمان عمرو بن العاص أن يوجه جيشاً إلى طرابلس وطنجة وبقيت الجيوش تتقدم حتى وصلت إلى الجزائر عام (٢٧هـ)[1].

٣- تنظيم بعض أمور الدولة ومرافقها:

لاشك أن عمر بن الخطاب قد نظم بعض أجهزة الدولة ومرافقها ولكن عثمان جاء فأحدث أنظمة جديدة كان طبيعة الدولة تقتضيها ومن ذلك:

(أ) أنه أقطع القطائع: وهي أراضي وزعها على بعض الفاتحين ليعملوا بها. ويستقروا فيها ويعمروها.

(ب) خصص مرتباً شهرياً للمؤذنين في المساجد.

(ج) فوض الناس في الدولة الإسلامية بإخراج زكاة أموالهم.

(د) شكل جهاز أمن (شرطة) وأمر عليه أحد أصحابه[2]

(هـ) أنشأ أول أسطول بحري للمسلمين حين غزا المسلمون قبرص.

رحمك الله يا عثمان.. يا ذا النورين فلقد قمت بأمانتك ومسؤوليتك خير قيام ونظمت وعملت، وكان لك الفضل في نسخ المصحف وغيره.. ولكن

---

[1] أقرأ تفاصيل ذلك في كتاب : **إتمام لوفاء**، محمد الخضري، ص **١٤٣ ـ ١٥٣**، وكتب **التاريخ في أخبار** احداث هذه السنين.

[2] **تاريخ** الخلفاء، **السيوطي**، ص ١٦٤.

إرادة الله بأن تصيبك البلوى، كما أخبرك صاحبك صلى الله عليه وسلم لحكمة يريدها سبحانه، فهنيئاً لك الشهادة في سبيله، وتعساً للذين لا ستريحون حتى يلطخوا أيديهم بدماء المسلمين الزكية.. إنها سنة الله في خلقه،ولن تجد لسنة الله تبديلا.

الخليفة الرابع

علي بن أبي طالب

كرم الله وجهه

علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه

اسمه:

علي بن أبي طالب، واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، وهو ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

وكنيته أبو الحسن[1]. وهو صهر النبي صلى الله عليه وسلم،زوج ابنته فاطمة بنت السيدة خديجة رضي الله عنها.

ويلقب بأبي السبطين - يعني الحسن والحسين.

ولقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بأبي تراب، فقد روى البخاري أن علياً دخل على فاطمة، ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبي صلى الله عليه وسلّم أين ابن عمك؟ قالت في المسجد، فخرج إليه، فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره فجعل يمسح التراب عن ظهره فيقول: إجلس يا أبا تراب[2].

وهو أصغر من اخوته الثلاثة، جعفر وعقيل وطالب.

---

[1] طبقات ابن سعد ١٩/٧

[2] فتح الباري ٧٠/٧

إسلامه:

كان علي رضي الله عنه أول من أسلم من الصبيان، وقد عده ابن هشام أوَل ذكر أسلم.

وكان علي بن أبي طالب يعيش في كنف الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كفله وتولى تربيته ليخفف عن عمه شيئاً من مؤنة العيال. وكان العباس قد كفل ولداً آخر لأبي طالب.

وحينما بُعث الرسول صلى الله عليه وسلم ـ كان عليّ لا يزال في حجره فدعاه إلى الإسلام فآمن به وصدقه[١].

وكان له من العمر آنذاك عشر سنين وقيل تسع.

صفاته:

(أ) الصفات الخِلْقيه:

روى ابن مسعود[٢] عن سعد الضَّبي - رضي الله عنه ـ فقال كان رجلاً فوق الربعة (متوسط القامة) ضخم المكنبين، طويل اللحية إذا نظرت إليه قلت هو آدم (حنطي) وإذا نظرت إليه من قريب قلت هو أقرب إلى السمرة وذكر غيره في وصفه فقالوا: كان ضخم عضلة الذراع، وكان أصلع وكانت لحيته عريضة،بيضاء تملأ ما بين منكبيه.

(ب) الصفات الخُلقية:

خير ما نذكر في هذا الصدد وصف ضرار الصدائي علياً لمعاوية حيث قال

---

[١] ابن هشام ٢٢٩/١

[٢] ابن سعد ٢٦/٧

معاوية له ــ بعد استشهاده ــ صف لي علياً، فقال: أعفني يا أمير المؤمنين، قال لتصفنه: فقال ضرار:

(كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس الليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن وكان فينا كأحدنا يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، وينبؤنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منّا ، لا نكاد نكلمه هيبة له، فإن تبسم فعن اللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين، ويقرب المساكين ولا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله.

وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ـ وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه يميل في محرابه قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين ويقول: يا دنيا غري غيري ألِيّ تعرضت؟ أم إليَّ تشوفت؟ هيهات! هيهات! قد طلقتك ثلاثاً ولا رجعة فيها، فعمرك قصير، ومجلسك حقير وخطرك قليل ، آهٍ آه من قلة الزاد وبُعد السفر ووحشة الطريق فبكي معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح وحيدها في حجرها لا ترقأ دمعتها ولا يسكن حزنها[1]).

لقد رُبّي علي في بيت النبوة،وكان اسبق الناس إلى الإسلام، ونشأ وقد أشربت روحه بتعاليمه، وشبّ على الصلاح، وقد كان فارساً مقداماً

---

[1] عظماؤنا في التاريخ ، ص ١٨٦، نقلا عن الحلية، لأبي نعيم.

شجاعاً، يبارز أبطال قريش ويصرعهم، في بدر وفي أحد وغيرها، كان قمة في الزهد والورع، ذا علم وحكمة.

فضله:

فضائل علي رضي الله عنه كثيرة، ولقد كان رضي الله عنه ــ قريبا من الرسول صلى الله عليه وسلم في نسبه وفي قلبه وفي كل شيء. ونحن نسوق لك من فضائله بعض ما ذكر البخاري في صحيحه[1].

فقد قال له النبي صلى الله عليه وسلم :(أنت مني وأنا منك) وقال عمر توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض. وحينما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم علياً على المدينة في غزوة تبوك تأثر لتخلفه عن أصحابه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى).

وفي غزوة خيبر ـ حينما استعصى على المسلمين حصنان ـ قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله عليه. فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها.

فقال أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا : يشتكي عينه يا رسول الله، قال فأرسلوا إليه فأتوني به.

فلما جاء بصق في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع. فأعطاه

---

(1) فتح الباري ٧/٧٠

الراية. وقد آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين علي رضي الله عنه[1].

تضحيته:

كان علي رضي الله عنه ككل أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبالي حين يقدم أي شيء في سبيل هذه الدعوة، فقد ضحى بنفسه وماله فيكفي أن يكون علي أول فدائي في الإسلام حيث نام في فراش الرسول صلى الله عليه وسلم حينما هاجر، وعرض نفسه للقتل، ولكن ذلك لم يكن في حساب علي ذا قيمة ما دام أنه يشارك في تنفيذ خطة وضعها قائده من أجل هذه الدعوة.

وكان علي من فرسان المسلمين المبارزين في كثير من المعارك منها أحد وبدر ولم يتخلف عن المسلمين إلا في تبوك حيث أمره الرسول صلى الله عليه وسلم على المدينة وقد كان حامل الراية في كثير من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من ألزم الناس بالرسول ليدافع عنه.

كيف آلت الخلافة لعلي؟:

بعد مقتل عثمان - رضي الله عنه - بقيت المدينة خمسة أيام وأميرها من المتمردين وهو الغافقي بن حرب قاتل عثمان[2]. وكان لا بد لهم من تنصيب خليفة إلا أن الفتنة كانت أشد.فقد أجمع المتمردون على قتل عثمان ولكنهم اختلفوا فيمن يولون وهذا كما سبق ذكره من تدبير ابن سبأ من أجل أن

---

[1] ابن سعد ٣/٢٢

[2] انظر: الدولة الأموية ، د. العش، ص ٧٣ وما بعدها - بتصرف ، وانظر أيضا: كتاب الفتنة ووقعة الجمل (رواية سيف بن عمر)، جمع أحمد راتب عرموش، ص ٩١

يستمر الخلاف بين المسلمين[1].

ولذلك فقد أتى المصريون علياً لمبايعته،فاختبأ منهم ، فبحثوا عنه فلم يستجب لمطلبهم، وتبرأ منهم ومن فعلهم.

وبحث الكوفيون عن الزبير وطلبوا منه أن يتولى الخلافة، فتبرأ منهم ورفض ذلك.

وأتى البصريون طلحه فتبرأ منهم ومن عملهم كصاحبيه. فحين لم يتسجب أحد من هؤلاء بعثوا إلى سعد بن أبي وقاص وقالوا له : إنك من أهل الشورى فأقدم نبايعك فقال لهم: إني وابن عمر خرجنا منها فلا حاجة لي فيها على أي حال.

ثم إنهم أتوا عبد الله بن عمر، فقالوا له أنت ابن أمير المؤمنين عمر، فقم بهذا الأمر، فقال: إن لهذا الأمر انتقاماً، والله لا أتعرض له التمسوا غيري.

وهكذا بقي المتمردون القتلة حيارى لا يعرفون ماذا يفعلون، فالصحابة كلهم قد تبرأوا منهم، و لم يريدوا أن يتعاونوا معهم لا من قريب ولا من بعيد. وحينئذ يهدد المتمردون أهل المدينة بقولهم: دونكم يا أهل المدينة فقد أجلناكم يومين، فوالله لئن لم تفرغوا (أي من إختيار الخليفة) لنقتلن غداً علياً وطلحة والزبير وأناساً كثيراً[2].

فعندها أتى المسلمون علياً فقالوا: نبايعك فإنك ترى ما نزل بالإسلام، وما ابتلينا به، فقال علي:دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون أمراً له ألوان لا

---

[1] راجع ص ٨٩ من هذا الكتاب

[2] تاريخ الطبري ٤٥٤/٣، وكتاب الفتنة، ص ٩٣

تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه عقول، فقد كان يعلم أن أول مهمة ينبغي أن يقوم بها هي الأخذ بدم عثمان ومعاقبة الثوار ولكن كيف؟ وبيدهم القوة. ومن هنا كانت المهمة في غاية الصعوبة.

ولكنهم قالوا له: ننشدك بالله ألا ترى ما نرى؟ ألا ترى الإسلام؟ ألا ترى الفتنة؟ ألا تخاف الله؟ فلما عزم عليه المهاجرون والأنصار ورأى ذلك فرضاً عليه إنقاد إليه[1].

وكان ذلك مساء الخميس ، فلما كان صباح يوم الجمعة، حضر الناس إلى المسجد وجاء علي فصعد المنبر وقال:

أيها الناس إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم، وقد افترقنا بالأمس على أمر، فإن شئتم قعدت لكم (أي أصبحت خليفة) وإلا فلا أعتب على أحد فقالوا نحن على ما فارقناك عليه بالأمس.

ثم بايع الناس علياً وكان ممن بايع طلحة والزبير، قيل إنهما بايعا تحت الأكراه ولكن أبا بكر بن العربي يرد رواية الإكراه وينقدها من وجوه، ويثبت بأن البيعة كانت صحيحة بدون أكراه[2].

وهكذا أصبح علي الخليفة الرابع، وكانت الفتنة كالبحر المائج، ولذا فإن المهمة صعبة وعلاجها على غاية من الخطورة.

وما أجمل وصف الأستاذ سعيد الأفغاني لهذا الجو المكفهر حيث يقول:[3]

---

[1] العواصم من القواصم، ص ٦٤٢

[2] انظر العواصم من القواصم، ص ١٤٣ ـ ١٤٤

[3] عائشة والسياسة، سعيد الأفغاني، ص ٧٥

(بويع علي بالخلافة،وإن الأمور لملتوية معتاصة، وإن كلمة الناس لمنتشرة، وإن أهواءهم لشتى ، ولقد استقبل رضي الله عنه خلافته بأيام سود، وفتن كقطع الليل المظلم، فاقتحم الغمرات وعقد العزم على أن يجلوها غمرة غمرة، وكان لله في ذلك قضاء سبق، فلم يجد علي بين يوم بيعته ويوم مقتله ساعة خلا فيها من فتنة تثار، وخوارج تنتفض، ومشكلات تتوالد وخصوم يتكاثرون إن همومه ومتاعبه وما حمّل نفسه من أعباء، أخذته حتى عن نفسه التي بين جنبيه).

موقف علي من قتلة عثمان:

لقد كان علي رضي الله عنه يعتقد أن هؤلاء القتلة مارقون من الدين مطالبون بدم عثمان، ويجب أن لا يفلتوا من العقاب.وكان كيف يعاقبهم وما زالوا في المدينة بحالة قوة وهيمنة، فالمعاقب لا بد أن يكون في حالة قوة.

ولذلك حينما طالبه بعض الصحابة بمعاقبتهم وافقهم على ذلك ولكنه اعتذر عن تنفيذه في الحال لعدم تمكنه من معاقبتهم . وكان هذا الأمر سراً بينه وبين بعض الصحابة حتى لا ينتشر الأمر ويعلم الثوار بذلك فيجددوا ثورتهم ويقتلوا علياً وتتكرر المأساة.

ولقد كان الظرف يتطلب من علي رضي الله عنه هذا الموقف السياسي عله يستطيع أن يضع حداً للمأساة التي يعيشها المسلمون في المدينة آنذاك وحتى يتمكن من ترتيب الأمور على نحوٍ يمكنه من التصرف والتعامل مع هذه الظروف وفق ما تقتضيه المصلحة.

ولكن وهذه إرادة الله لم يستطع العدد الأكبر من المسلمين أن يفهموا موقف علي ولا أن يقدروه، وكان يساعدهم على ذلك موجات الإشاعات التي يخلقها السبئية. ومنها أن علياً كان معهم قبل مقتل عثمان ـ والعياذ بالله مما يقولون.

ولعل هذا الوضع يتكرر كثيراً مع القادة، فكم يتطلب منهم الموقف السياسي أن يعلنوا عن شيء أو يتظاهروا به وهم يخططون لغيره، وما ذلك إلا بهدف إخفاء الخطة على العدو وليس على أفراد الجماعة أو الشعب، ويدخل ذلك في مفهوم (الحرب خدعة).

إلا أن مثل هذا الموقف السياسي قد تكون سلبياته أكثر حينما تعيش الأمة إحدى حالتين. الأولى: حالة عدم الثقة بين الراعي والرعية أو بين القاعدة والقيادة. والثانية: حينما تجد الإشاعات المعادية مكاناً في نفوس الأمة وتصبح هي الأساس في تقييم الأخبار واتخاذ المواقف ولعل هذه الحالة الثانية هي التي كانت تسود جو المدينة.

وفيما سنذكر ما يثبت أن علياً كان يرى وجوب معاقبة الثوار:

استمرار مسلسل الفتنة في عهد علي:

لم يكن هدف السبئية (ابن سبأ واتباعه) التخلص من عثمان فحسب ولكن هدفهم كان يرمي إلى إحداث الشقاق والفتن التي لا آخر لها بين المسلمين ولذلك فمن الطبيعي وقد نجحوا في أول حلقة من مخططهم ـ أن يستمروا في التخطيط لإشعال الفتنة واستمرارها، ومن ذلك:

* انهم استطاعوا أن يسبقوا بخبر مقتل عثمان إلى معاوية في الشام ومع هذا الخبر تآمر علي على ذلك واتفاقه معهم، والدليل على صحة هذا القول في نظرهم تولى على الخلافة بعد عثمان. إذن فقد صوروا أن علياً كان يطمع بالخلافة فتآمر على عثمان فكان له ما يريد.

ومعاوية من بني أمية ـ فهو من أولياء دم عثمان ـ فخرج على عليّ وأعلن العصيان وعدم المبايعة.

* وحينما خرجت عائشة إلى مكة ومنها إلى البصرة كي تطلب من المسلمين أن يقوموا ليعاقبوا الثوار ــ على قتلهم عثمان ــ بعد أن رأت أن الخليفة غير قادر على ذلك لسيطرة الثوار على المدينة ـ وخرج كذلك طلحة والزبير ، جاء الخبر علياً أن هؤلاء قد خرجوا عليك ـ وما هو إلا الفتنة ولكن علياً خرج ــ كما يروي الطبري ــ إلى البصرة فسأله أحد أصحابه فقال يا أمير المؤمنين أي شيء تريد، وإلى أين تذهب بنا؟.

فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح إن قبل منا أصحاب عائشة وأجابوا لنا إليه.

قال : فإن لم يجيبونا إليه ؟ قال: ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونسير. قال: فإن لم يرضوا؟ قال ندعهم ما تركونا.

قال فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعا منهم.

قال فنعم إذن .

وواضح من ذلك أن علياً رضي الله عنه لم تكن نيته القتال أبداً. وكذلك

الفريق الآخر.

أخرج البخاري بسنده عن عبد الله بن الزبير قال: لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني فقمت إلى جنبه، فقال: يا بني لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أراني إلا سأقتل اليوم مظلوماً)[1].

قال ابن بطال: معناه ظالم عند خصمه ومظلوم عند نفسه لأن كلا من الفريقين كان يتأوّل أنه على الصواب[2]

وتؤكد كثير من الروايات أن الزبير رضي الله عنه لم يشترك في القتال بل ترك المعركة وذهب فتبعه رجل من بني تميم اسمه عمرو بن جرموز فقتله بوادي السباع غدراً[3]، فكان قتله ظلماً.

وهذا يؤكد أن الزبير رضي الله عنه لم يرد القتال، ولكن الفتنة كانت أقوى من أن يستطيع أحد كبح جماحها.

وصورة ذلك كما تذكره معظم كتب التاريخ أن علياً رضي الله عنه بعث حين وصوله القعقاع بن عمر ـ رضي الله عنه ـ وسيطاً. واتفق الطرفان على الصلح ـ وخطب علي في الناس وقال ألا وإني راحل غدا فارتحلوا فحين رأى ابن السوداء[4] إتفاق الناس .قال لأصحابه إنه، إن تصالح علي مع عائشة،فعلى دمائنا وإن عزكم في خلطة الناس فخالطوهم وإذا التقى الناس

---

[1] فتح الباري ٢١٧/٦

[2] فتح الباري ٢١٩/٦

[3] فتح الباري ٢١٩/٦

[4] هو عبد الله بن سبأ وهذه تسمية الطبري له.

غداً فابدأوا القتال ،ولا تتركوا للناس مجالا للتفاهم[1] ، وقد ساعد على تنفيذ ذلك وجود أتباع ابن سبأفي الطرفين وفعلاً فقبل أن يلتقي المسلمون للصلح بدأ أتباع ابن سبأ بالقتال كل من جهته، فظن كل من الفريقين أن صاحبه قد نقض عهده، فوقعت معركة الجمل التي قتل فيها آلاف كثيرة من المسلمين، ومنهم طلحة والزبير.

و لم يستطع علي أن يكف جماعته عن القتال وكذلك عائشة فقد غلبا علي أمرهما.

وجهز علي عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع، وأخرج معها من نجا ممن جاء معها، إلا من أحب المقام. واختار لها أربعين أمراة من نساء البصرة المعروفات، وأرسل معها ابنه محمد بن الحنفية ليوصلها وشيعها علي خارج البصرة أميالا وذلك سنة ٣٦ هـ.

وبذلك حسمت الفتنة في العراق. ولكن بقي أمام علي فتنة أخرى حركتها السبئية وكانت في بلاد الشام. وهي مبايعة أهل الشام معاوية خليفة على المسلمين.

*أما حجة علي فكانت: أنه إمام تنبغي له الطاعة، ولا يسوي المسلمون بينه وبين معاوية،فمعاوية لا يعدل بعلي، وإذن فواجبه أن يبايعه.

* **وحجة معاوية:** هي أن علياً قد آوى قتلة عثمان. ولا يرضى بأقل من أن يسلمه علي قتلة عثمان. لأنه ولي دم عثمان.

---

[1] انظر تفصيل هذه المؤامرة في تاريخ الطبري ٣/٥٠٧ ـ ٥٠٨.

إذاً فالخلاف بينهما ليس على الإمامة وإنما كان حول قتلة عثمان يقول الغزالي في هذا الصدد: (وما جرى بين علي ومعاوية كان مبنياً على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الإمامة)[1]

و لم تسفر المفاوضات عن نتيجة إيجابية فلجأ الفريقان إلى القتال حيث وقعت معركة صفين التي راح ضحيتها آلافاً كثيرة من المسلمين وحينما شعر أنصار معاوية أن الكفة راجحة لصالح علي لجأوا إلى طلب التحكيم، فاختار علي أبا موسى الأشعري واختار معاوية عمرو بن العاص.

فكان الحكم بينهما القرآن الكريم وسنة رسوله. والأمر المحكم عليه كان في نظر علي وأصحابه هو قضية قتلة عثمان.

ولكن المتحاكمين تجاوزوا ذلك إلى شرعية خلافة علي، فكانت النتيجة عزل علي وترك الأمر شورى بين المسلمين.

ولذلك حينما كانت هذه النتيجة ثار أصحاب علي و لم يقبلوا بالتحكيم فنشأت بذلك فرقة الخوارج وهم الذين اغتالوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة (٤٠هـ) وذلك بعد أن انتصر عليهم في معركة طاحنة هي معركة النهروان عام (٣٨هـ) قتل فيها أعداداً كبيرة من الخوارج.

أعمال علي بن أبي طالب:

إن خلافة علي رضي الله عنه كانت حافلة بالفتن، فقد بويع بعد مقتل عثمان، فكانت أيامه فيها فتن ومعارك دامية، صرفت المسلمين مؤقتاً عن إتمام رسالتهم العالمية، بالفتوح التي بدأت في عهد أبي بكر، واستمرت طيلة

---

[1] الدولة الأموية ، ص ٩٧ ـ نقلاً عن إحياء علوم الدين.

عهد عمر، وشطراً كبيرا من عهد عثمان.

ولذلك لم يتح له أن يتم الفتوحات ويتفرغ للإصلاح والبناء، ولو أمتد به الأجل وخلا عهده من الفتن، لكان كعهد عمر، من أزهى عصور التاريخ عدالة واستقامة ويمناً وبركة على الإسلام،ورحمة للإنسانية.

تولى الخلافة والسيوف مسلطة، والقلوب متغيرة، ووسائل أعداء الله من يهود وغيرهم تعمل عملها في إيقاد جذور الفتنة وتفريق كلمة المسلمين، حتى التقى المسلمون وجهاً لوجه في ثلاث معارك كبرى، وعشرات المعارك الصغرى وسفك بعضهم دماء بعض.

ومع يقيننا بإخلاصهم جميعا، واجتهادهم في الحق، فإننا لا ننكر ما كان لخلافهم من أثر استمر حتى اليوم. وفي توهين قوة المسلمين، وإضعاف كيانهم ،والتقصير في أداء رسالتهم الإنسانية للعالم قاطبة يرحمهم الله ويغفر لهم.

ومع هذه الفتن التي أحاطت بخلافته، فقد كان رضي الله عنه، شديداً في الحق مقيما للعدل، خاشعاً لله، مجتهداً في نصح الأمة، يولي الأخيار، ويحاسب المقصرين ولا يجامل في الحق أبداً، ولا يخاف في الله لومة لائم . زاهداً في الدنيا بعيداً عن الترف، وكما كانت حياته جهداً، فقد كان موته استشهاداً[1].

واختم حديثي عن أعماله بوصيته في مرض موته التي تترجم فلسفته في الحياة ونظرته إلى علائق المسلمين وأمله في إصلاح ذات البين ولعل هذه الوصية

---

[1] عظماؤنا في التاريخ ، ص ١٧٠

كانت من الدوافع التي حملت الحسن رضي الله عنه على إجراء الصلح الذي سيأتي ذكره[1].

ونحن نسوق لك نص الوصية حسبما ذكر الطبري في تاريخه[2]:

(بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب: أوصى أنه يشهد أنه لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين.

ثم أوصيك يا حسين وجميع ولدي وأهلي بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وانتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، فإني سمعت أبا القاسم يقول: (إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام).

انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوها يهون عليكم الحساب.. وعليكم بالتواصل والتبادل وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق.وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان. واتقوا الله إن الله شديد العقاب حفظكم الله من أهل بيت وحفظ فيكم نبيكم، استودعكم الله، وأقرأ عليكم سلام الله ورحمته ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض رضي الله عنه.

المؤامرة على علي وخصومه رضي الله عنهم أجمعين:

في خضم تلك الأحداث الجسام، ومن خلال أعاصير هذا الجو المكفهر، يأتي

---

[1] انظر ص ١٢١من هذا الكتاب

[2] تاريخ الطبري ١٤٧/٥

قدر الله عز وجل، ليضع حداً لحياة هذا الأمام العظيم وكانت الفتن تجر في ذيولها الفتن، والمصائب تولد المصائب، وها هو عام (٤٠) من الهجرة يكاد أن يؤذن بالرحيل، ولكنه لم يشأ أن يرحل حتى يودع الخليفة الرابع كرم الله وجهه.

أما عن خبر التآمر عليه وعلى زعماء الأمة آنذاك، فقر ذكرت كتب التاريخ قصة ذلك في روايات متشابهة، وهاهي خلاصة مارواه ابن سعد في طبقاته[١]، والطبري في تاريخه[٢].

فقد التقى ثلاثة من الخوارج بعد معركة النهروان التي انتصر فيها علي عليهم، وتحدثوا في أمر المسلمين، وتذاكروا مرارة يوم النهروان ومن قتل من أصحابهم فيها، أولئك الذين كانوا دعاة الناس إلى عبادة ربهم. ثم كان رأي الثلاثة أن يسعوا لقتل من كان سبباً في تلك الحروب والفتن، وهم في نظرهم أئمة المسلمين آنذاك، وكان هذا العمل في اعتقادهم قربة يتقربون بها إلى الله عز وجل.

وأما هؤلاء الثلاثة فهم:

***عبد الرحمن بن ملجم:** وهو من أشد الفرسان، شهد فتح مصر ثم أقام بها، وكان ممن بايع علياً ، وكان معه يوم صفين، ثم خرج عليه بعدها.

***البرك بن عبد الله:** واسمه الحجاج، والبرك لقبه وكان من أهل البصرة، يذكر أنه كان أول من اعترض في التحكيم.

* **عمرو بن بكير التميمي:** وهو أحد رجال الخوارج ممن اشتهر بالفروسية والشدة.

---

[١] ابن سعد الطبقات الكبرى ٣/٣٥

[٢] تاريخ الطبري ٥/١٤٣

وهكذا أجمع الثلاثة أمرهم على قتل أئمة المسلمين، وتوزعوا الأدوار: فابن ملجم قال: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب في الكوفة.

وقال البرك بن عبد الله، أنا كفيل بقتل معاوية في دمشق.

وأما عمرو بن بكير فكانت مهمته قتل عمرو بن العاص في مصر.

وتعاهدوا وتواثقوا، لا ينكص رجل منهم عن عهده الذي التزم به وحددوا ليلة السابع عشر من رمضان موعداً لتنفيذ مهمتهم، ثم تفرقوا، وذهب كل منهم إلى البلد الذي يقيم فيه هدفه المكلف باغتياله.

فأما البرك، فتربص لمعاوية بنفس الليلة التي اتفقوا عليها، وحين خرج لصلاة الصبح ضربه فأصابه بجراح غير قاتله، فقبض على البرك فقتل.

وأما عمرو بن بكير، فتربص لعمرو بن العاص صلاة الصبح أيضاً، ويشاء الله عز وجل أن لا يخرج عمرو بن العاص للصلاة ذلك اليوم فقد كان يشتكي وجعاً في بطنه،فخرج للصلاة بدلا منه خارجة بن حذافة صاحب شرطته فضربه ابن بكير فقتله، وهو يظنه عمرو بن العاص، فأمسك به الناس ثم قتل.

استشهاد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

يروي ابن سعد بسنده في الطبقات ما فعله عبد الرحمن بن ملجم حين توجه إلى الكوفة لإغتيال علي فقال:[1]

..فقدم عبد الرحمن بن ملجم الكوفة، فلقي أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريد، وكان يزورهم ويزورونه، فزار يوماً نفراً من قبيلة تيم الرباب ،فرأى امرأة منهم يقال لها (قطام) وكان علي قتل أباها وأخاها يوم النهروان ـــ

---

[1] الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣٦/٣، وكذلك ذكرت كتب التاريخ الأخرى خبر استشهاده بروايات متقاربة، انظر: الطبري ٪/١٤٤ وما بعدها.

فأعجبته فخطبها. فقالت لا أتزوجك حتى تسمي لي (أي المهر).
فقال: لا تسأليني شيئا إلا أعطيتك.
فقالت : ثلاثة آلاف ، وقتل علي بن أبي طالب.
فقال: والله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي بن أبي طالب، وقد آتيتك ما سألت.
ولقي عبد الرحمن بن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعي، فأعلمه ما يريد ودعاه إلى أن يكون معه فأجابه إلى ذلك.
وبات عبد الرحمن بن ملجم تلك الليلة التي عزم أن يقتل في صبيحتها علياً، يناجي الأشعث بن قيس الكندي في مسجده حتى كاد أن يطلع الفجر، فقال له الأشعث: ضحك الصبح فقم.
فقام عبد الرحمن بن ملجم وشبيب فأخذا أسيافهما ثم جاءا حتى جلسا مقابل السدة التي يخرج منها علي.
ثم خرج علي وهو ينادي: أيها الناس الصلاة الصلاة، وكان يفعل ذلك في كل يوم حيث يخرج ومعه درته يوقظ الناس.فاعترضه الرجلان فقال بعض من حضر ذلك:
فرأيت بريق السيف وسمعت قائلاً يقول: لله الحكم يا علي لا لك، ثم رأيت سيفاً ثانيا فضربا جميعاً. فأما شبيب فأخطأ سيفه علياً وأما ابن ملجم فأصاب عليها في رأسه، وسمعت علياً وهو يقول: لا يفوتكم الرجل فأما شبيب فأفلت وأما ابن ملجم فقبض عليه.
ومكث علي يوم الجمعة وليلة السبت وتوفي رضي الله عن ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة ٤٠هـ.

مصير عبد الرحمن بن ملجم: قاتل علي:

بعد أن قبض عليه أدخل على علي قبل أن يموت فقال رضي الله عنه: اطيبوا طعامه وألينوا فراشه، فإن أعش فأنا أولى بدمه عفواً أو قصاصاً، وإن أمت فالحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين[1].

ويروى أنه لما قبض عليّ ، بعث الحسن إلى ابن ملجم فاتى به، فقال للحسن: (إني والله ما أعطيت عهداً إلا وفيت به، وقد أعطيت الله عهدا أن اقتل علياً ومعاوية ، أو أموت دونهما، فإن شئت خليت بيني وبينه ــ بقصد معاوية ــ ولك الله علي إن لم اقتله أو قتلته ثم بقيت أن آتيك حتى أضع يدي في يدك.

فقال له الحسن: أما والله حتى تعاين النار فلا ــ أي لا تعاقب إلا في الآخرة فلا. ثم قدمه فقتله[2]

وقفه مع قصة مقتل علي رضي الله عنه:

يفاجأ الإنسان حينما يرى أن قاتل علي رضي الله عنه، ارتكب فعلته وهو يعتقد بأنه يتقرب إلى الله عز وجل بذلك، لأنه يفعل طاعة سيلقى بها ربه، ولا شك أن هذا ممن شملهم قول الله تبارك وتعالي: (**قل هل ننبؤكم بالأخسرين أعمالاً ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً**)[3]

---

[1] طبقات ابن سعد ٣/٣٧

[2] تاريخ الطبري ٥/١٤٨

[3] سورة الكهف: آية ١٠٣، ١٠٤

فلئن كان عثمان قد قتله الأشرار من دعـاة الفتنـة، فـإن عليـا قـد قتلـه أحـد الأشرار ممن انحرفوا في فهم الإسلام،ولبس عليهم الشيطان فزين لهم قتل إمـام المسلمين على أنه طاعة يشترون بها الجنة.

لقد كان الخوارج مشـهورين بالعبـادة والتقـوى، ولكـن عبادتـهم لم تنفعـهم حين انحرفوا في فهم الإسلام، واستباحوا الخروج عن الجماعـة واسـتباحوا دم الإمام العظيم ومن معه من المسلمين.

هكذا زين لهم الشيطان أعمالهم وأضلهم عن السبيل، ففتحوا باب فتنة كبيرة على المسلمين، وزادوا في فرقتهم، بعد أن كانوا فريقين،فريقاً مع علي وفريقا مع معاوية، إلى أن أصبحوا فريقاً ثالثاً لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء.

داخلهم الزهـو والغـرور بعبادتـهم ، حتـى احتقـروا المسـلمين وكفـروا أئمـة الهدى، وأضلوا المغرورين عن دين الله عز وجل.

وها هو ذا التاريخ يعيد نفسه، وها هـم أولاء فريـق ممـن زيـن لهـم الشـيطان غرورهم بالطاعة والعبادة يكفرون رجـال الإصـلاح: ويسـتبيحون لإنفسـهم تفريق صفوف الجماعة وتوهين بنيان الدعوة، ونكاد نظلـم الخـوارج الأولـين حين نشبه هؤلاء بهم فلقـد كـان أولئـك أبطـال جـهاد لا يكذبـون وهـؤلاء أبطال كلام لا يصدقون،والأمر لله من قبل ومن بعد[1].

فهلا سمع هـؤلاء قـول الله تبـارك وتعـالي: (**ولا تنـازعوا فتفشـلوا وتذهـب ريحكم، واصبروا إن الله مع الصابرين**)[2]. وهلا نظروا إلى التاريخ فاعتـبروا

---

[1] عظماؤنا في الإسلام، د. مصطفى السباعي

[2] سورة الأنفال :آية ٤٦

بأحداثه، وهلا عرفوا أن أعداء الأمة قد يئسوا أن ينزعوا الإسلام مصدر قوتنا ـ من صدورنا فلجأوا إلى تفريق كلمتنا وتشتيت صفوفنا فكنا كما يريدون شيعاً وأحزاباً لا هم لنا إلا الطعن ببعضنا، فانشغلنا بذلك عن أهدافنا وابتعدنا عن وظيفتنا !!

عامُ الجماعة واتفاق كلمة المسلمين:

لابد لنا من الإشارة إلى ما كان بعد مقتل علي من الصلح واتفاق كلمة المسلمين ـ بفضل الله ـ وذلك حتى لا يذهب الظن بامرئ أن الأمة إذا اختلفت لا تتفق.. بل تتفق حينما يكون سبيلها واحداً وطريقها واضحاً.

واكتفى بما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن الحسن البصري قال[1]:

استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها.

فقال له معاوية: أي عمرو، إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس، ومن لي بنسائهم، ومن لي بضيعهم؟

فبعث اليه (أي إلى الحسن) رجلين من قريش من بني عبد شمس ـ عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كُريز.

فقال : اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه (أي الصلح).

فأتياه، فدخلا عليه فتكلما وقالا له وطلبا إليه.

فقال لهما الحسن بن علي:إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وأن هذه الأمة قد عاشت في دمائها.

---

[1] صحيح البخاري (فتح الباري) ٥/٣٠٦

قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك .

قال: فمن لي بهذا؟ (أي يكفل لي هذا).

قالا: نحن لك به.

فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به . فصالحة.

فقال الحسن (البصري) ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر - والحسن بن علي وإلى جانبه — وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول أن ابني هذا لسيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[1].

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصلح الله بالحسن بين المسلمين، حيث عادت الأمة إلى وحدتها، فعادت لها قوتها، واستأنفت حياتها، كأمة لها الريادة والقيادة بين أمم الأرض، ويعيد التاريخ نفسه فها هي دماء المسلمين تروى الصحاري والقفار، وها هي جثثهم تقدر بعشرات الآلاف وها هو ضعف الأمة يزداد شيئا فشيئاً لتفرق الأمة وتشتتها فهل لها من يقف موقف الحسن بن علي.. فيحقن دماء المسلمين ويغيض صدور الأعداء.. نسأل الله عز وجل أن يكون قريبا فكأن لسان حال الأمة يقول (ليس لها من دون الله كاشفة)[2]

*****

---

[1] أخرجه البخاري أيضا في كتاب الفتن، فتح الباري ٦١/١٣

[2] عظماؤنا ، د السباعي، ص ١٦٥

خاتمـــــة:

ثلاثون عاما ـ تقريبا ـ كانت مدة دولة الخلافة الراشـدة تقاسمـها أربعـة مـن خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، مـن المبشـرين بالجنـة، ممـن تربى في مدرسة النبوة ممن عاش حياة الدعوة، وعاش أحداثـها منـذ بدايتـها، كلهم ترسم خطى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستن بسنته وسـار علـى نهجه وهديه.

ولا بد لي هنا أن ألخص بعض سمات تلـك الفـترة ومـا اكتنفـها مـن أحـداث فأقول وبالله التوفيق.

أولا: كـان خلفـاء الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام ينطلقـون في حكمـهم وتصرفاتهم ورعايتهم لأمور الدولة ومعالجتهم للأحداث من الإسلام وباسـم الإسلام وبشورى من المسلمين.

ثانيا: لم يتول أحد منهم أمر المسلمين بفرض نفسه عليهم أوبفرضه مـن قبـل من سبقه في رئاسة الدولة بدءاً من أبي بكر وانتهاء بعلي، بل كان كل ذلـك بشورى من المسلمين ولكن هذه الشورى قد اتخذت صوراً متعددة مما يـدل على أن الإسلام لم يفرض كيفية معينة لاختيار الخليفة، بـل إن ذلـك مـتروك للأمة فهي التي تحدد الكيفية وهي التي تقدر الظروف مع الحفاظ دائمـا علـى مبدأ الشورى.

ثالثا: بعد الاختيار المنبثق من الشورى تتم مبايعة الخليفة علنـاً ولا يُلتفـت لمـا قد يحصل من مخالفة البعض فالعبرة بما تراه غالبية الأمة وسوادهم الأعظـم ثـم إذا حصلت البيعة لا يجوز نقضها إلا حين يكون كفراً بواحاً.

رابعا: يلاحظ أن المؤامرة قد ابتدأت ضد الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، والخليفة هو المسؤول عن درء أي محاولة لنقض عرى الإسلام فيسلك الطريقة المناسبة لمعالجة مثل هذه الظواهر كما حصل مع أبي بكر في حروب الردة.

خامساً: الأمة مسؤولة عن محاسبة الخليفة في كل تصرفاته بدءاً من الشؤون المالية وانتهاء بشؤون السياسة والحكم والولاية . ولكن ذلك ضمن أطر حددها الإسلام وغالباً ما يتم ذلك عن طريق أهل الحل والعقد. ولا يجوز للأمة أن تثور بشكل غوغائي لأن ذلك يؤدي إلى الفتنة وانتشار الإشاعات وقد تستغل هذه الصورة ضد الإسلام ـ كما حصل مع من ثار ضد عثمان رضي الله عنه ثم علي كرم الله وجهه.

سادساً: الخليفة مسؤول أيضاً عن استمرار نشر الإسلام بواسطة الفتوحات فيحشد الجيوش ويوجهها وينظمها، وذلك حسب ما تسمح به ظروف الدولة والظروف المحيطة بها، وحسبما تقتضيه مصلحة الدعوة ففي عهد أبي بكر ابتدأت الفتوحات مباشرة حسب طاقة الدولة وتوسعت كثيرا في عهد عمر. وكذا في بداية عهد عثمان. أما بعدئذ فقد كانت ظروف الدولة الداخلية تحول دون ذلك.

سابعاً: للخليفة أن يقوم بما يراه من إجراءات تنظيمية فيما لا نص فيه تحت شعار المصالح المرسلة وفي ظلال الشورى حسب ما يراه مناسباً لتحقيق المصلحة العامة. كما فعل عمر في قضاياه التنظيمية، وأبو بكر في جمع القرآن وعثمان في نسخه.

ثامنا: اختلاف علماء الأمة وعظمائها أمر طبيعي، ولكن في ظلال الأخوة والتناصح والبحث عن مصلحة الأمة، فتفاوت العقول يؤدّي إلى تفاوت الآراءواختلاف وجهات النظر كما حصل في سقيفة بني ساعدة، وحروب الردة وجمع القرآن. ويجب أن لا يصل ذلك إلى تفرق الأمة وتنازعها. فذلك مؤد إلى الفشل لا محالة. والحكم في ذلك كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

تاسعاً: وجود أيدٍ خفية وأجسام غريبة داخل جسم الدولة الإسلامية أمر طبيعي أيضا، فقد كان في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم المنافقون وكذلك في عصر خلفائه، وكان المرجفون والمعادون للإسلام وأصحاب المصالح الخاصة. ولكن ينبغي على الأمة أن تميز بين هؤلاء وبين المخلصين من المؤمنين. فتأخذ على أيديهم حتى لا تغرق سفينة الإسلام.

عاشراً: إن ما حصل من فتنة في زمن عثمان رضي الله عنه إنما كان بسبب وجود يد خفية هي يد عبد الله بن سبأ واتباعه من السبئية الذين حاولوا نقض عرى الإسلام وهدم الدولة بهذا الأسلوب الخبيث.

حادي عشر:ثبت من خلال ما عرضنا أن أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له يد لا من قريب ولا من بعيد في قضية فتنة عثمان، بل على العكس من ذلك فقد حاولوا تهدئة الأمور والدفاع عن عثمان ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

ثاني عشر: إن اختلاف علي مع عائشة وطلحة والزبير في الرأي لم يكن حول قضية معاقبة الثوار أو عدم معاقبتهم، وإنما في توقيت العقاب وكيفيته،

فعلي يرى تأجيل ذلك لأن الثوار في حالة قوة حتى لا تتكرر المأساة والآخرون يرون الإسراع في ذلك. وكلهم مجتهد والمجتهد مأجور على أي حال.

ثالث عشر: أحداث الفتنة وما تلاها من أعقد قضايا التاريخ الإسلامي ولذلك فقد كانت مجالا خصباً للمستشرقين وتلامذتهم ليطعنوا في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتنصوا الروايات الضعيفة والمكذوبة لينسجوا من خلالها خداعاً يحقق أهدافهم في تشويه صورة عظماء هذه الأمة وقادتها.

رابع عشر: إغتيال عظماء المسلمين وأئمتهم وعلمائهم أسلوب جبان وخسيس لا يقدم عليه إلا أعداء الإسلام والمسلمين ليسكتوا ألسنة الدعاة ويكمموا أفواههم حتى يخلو لهم الجو فيعيثوا في الأرض فساداً.من هنا كان إغتيال عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين.

خامس عشر: العمل غير المتزن المنطلق من الحماس غير المدروس هو **تهور** يقود صاحبه إلى الهلاك بل قد يقود الأمة كلها إلى ما لا يحمد عقباه. **كما** حصل مع الخوارج العبّاد حين استباحوا لأنفسهم قتل علي رضي الله عنه.

سادس عشر: إن إصلاح ذات البين من أفضل القرب إلى الله عز وجل. وحقن دماء المسلمين فرض على إمام المسلمين إن كان ذلك بإمكانه حتى ولو كان ذلك على حساب مصلحة أخرى أقل أهمية فالقاعدة الشرعية في ذلك تقول (يتحمل أخف الضررين) وأيضاً (درء المفاسد أولى من جلب المصالح). ويتضح ذلك من موقف الحسن رضي الله عنه عملاً بوصية والده

الإمام علي كرم الله وجهه حينما قبل الصلح وحقن بذلك دماء المسلمين.

وهكذا كان عهد هؤلاء العظماء... حياة حافلة بالأحداث والفتن.. فتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، ولكن ذلك لم يكن ليوقف مسيرة الدعوة، وسنة الحياة. فعزم الرجال، وصفاء القلوب، وعلو الهمة، وصدق العزيمة.. كل ذلك كفيل باستمرار مسيرة الحق.. لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله. والحمد لله رب العالمين.

*****

قائمة المراجع

(١) إتمام الوفا في تاريخ الخلفاء - الخضري

(٢) أحسن الحديث - أ. د. محمد سعيد رمضان البوطي. المكتب الإسلامي، بيروت لبنان، ط١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي ٧٧٣ - ٨٥٢هـ

(٤) الإمامة والسياسة - ابن قتيبة الدينوري (عبد الله بن مسلم) - ٢٧٦هـ تحقيق د. طه محمد الزيني، دار المعرفة، بيروت - لبنان مؤسسة الحلبي

(٥) البداية والنهاية - أبن كثير (إسماعيل بن عمر) ت ٧٧٤هـ الناشر مكتبة المعارف، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٦٦م.

(٦) تاريخ ابن خلدون - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ٧٣٢ ٨٠٨هـ. الناشر : مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٣٩١هـ

(٧) تاريخ السيوطي (جلال الدين السيوطي)

(٨) تاريخ الدولة العربية (دراسات في تاريخ العرب) د. السيد عبد العزيز سالم مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر الإسكندرية ١٩٨٢هـ

(٩) تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) الطبري (محمد بن جرير ت ٣١٠هـ تحقيق محمد أبو الفضل دار سويدان، بيروت - لبنان.

(١٠) تاريخ المدينة المنورة - ابن شبه (أبو زيد عمر بن شبه النميري

البصري) ت ٢٦٢هـ تحقيق فهيم وشلتوت، دار الأصفهاني للطباعة جدة، ـ السعودية ط ٢ ، ١٣٩٣هـ

(١١)تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) محمد بن احمد الأنصاري القرطبي ت ٦٧١هـ دار الكتاب العربي ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م، مصور عند طبعة دار الكتب

(١٢) تقريب التهذيب ـ ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي) ـ ٨٥٢ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، ط ١ المكتبة الوطنية المدينة المنورة.

(١٣) تهذيب التهذيب ابن حجر العسقلاني (احمد بن علي ت ٨٥٢هـ دائرة المعارف النظامية الهند ط ١، ١٣٢٥هـ

(١٤) جامع الترمذي (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري) إشراف وتصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف دار الفكر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م

(١٥) حلية الأولياء وطبقات الاصفياء للأصبهاني (أبو نعيم أحمد ت ٤٣٠هـ دار الكتاب العربي ط ٤ ١٤٠٥ ١٩٨٥م

(١٦) الدولة الأموية الدكتور يوسف العش طبعة جامعة دمشق ٣٨٥ - ١٩٦٥م

(١٧) الروض الانف في شرح السيرة النبوية للسهيلي (عبد الرحمن السهيلي ت ٥٨١هـ)

(١٨) السيرة النبوية ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام المغافري ٢١٣هـ تقديم وتعليق عبد الرؤوف سعد مكتبة ومطبعة عبد السلام بن محمد شقرون مصر ١٩٧٤م

(١٩) صحيح البخاري محمد بن إسماعيل ت ٢٥٦ هـ ومعه شرح ابن حجر المسمى فتح الباري ، المطبعة السلفية

(٢٠) صحيح مسلم (مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري)- ٢٦١هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي.

(٢١) الطبقات الكبرى (محمد بن سعد بن منيع البصري) ت ٢٣٠هـ . تقديم إحسان عبد القدوس دار احياء التراث العربي.

(٢٢) عائشة والسياسة - سعيد الأفغاني دار الفكر، دمشق سوريا ط ٢ ١٣٩١هـ. ١٩٧١م

(٢٣) عظماؤنا في التاريخ د. مصطفى السباعي، تقديم عدنان زرزور الناشر: المكتب الإسلامي بيروت - لبنان.

(٢٤) العواصم من القواصم ابن العربي (القاضي محمد بن عبدالله بن محمد) - ٥٤٣ تحقيق محب الدين الخطيب نشر لجنة الشباب المسلم، ١٣٧١هـ

(٢٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي) ت ٨٥٢هـ طبعة المطبعة السلفية

(٢٦) الفتنة ووقعة الجمل (رواية سيف بن عمر الضبي) ت حوالي ٢٠٠هـ جمع وتصنيف احمد راتب عرموش، ط٤ /١٤٠٢ـ١٩٨٢هـ دار النفائس بيروت ـ لبنان

(٢٧) فضائل الصحابة ابن حنبل (أبو عبد الله احمد بن محمد) ١٦٤هـ ٢٤١هـ تحقيق وصي الدين محمد عباس، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ط ١٤٠٣١هـ

(١) (٢٨) القاموس المحيط الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب) ط٢، ١٩٥٣م مصطفى البابي الحلبي وأولاده مصر.

(٢٩) القرآن الكريم

(٣٠) الكامل في التاريخ ابن الأثير (علي بن محمد الجزري) ت٦٣٠هـ المطبعة الأزهرية مصر ط ١، ١٣٠١هـ

(٣١) كتاب الزهد الإمام احمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ٢٤١هـ ط١ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م. بيروت ـ لبنان

(٣٢) الكفاية في علم الرواية الخطيب البغدادي (احمد بن علي بن ثابت) ت ٤٦٣هـ مطبعة السعادة، مصر ط ١، ١٩٧٢م

(٣٣) لسان الميزان ـ ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي)ت٨٥٢هـ مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد الهند ط ١، ١٣٣٠هـ

(٣٤) مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ الإمام محمد بن عبد

الوهاب . دار الفكر، بيروت لبنان ،ط١ ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م
(٣٥) مدرسة الحديث في البصرة د. أمين القضاة رسالة دكتوراه في الحديث ، دار ابن حزم – بيروت - ١٩٩٨ - ط١
(٣٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل- المكتب الإسلامي، بيروت،ط٤
(٣٧) المغني في الضعفاء- الذهبي محمد بن أحمد عثمان)-٧٤٨ تحقيق ا. د نور الدين عتر ، دار المعارف، سوريا ط ١ /١٩٧١م.
(٣٨) الملل والنحل- الشهرستاني -(أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن احمد) ت٥٤٨-١١٥٣م تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه القاهرة ، ١٣٨٨هـ ١٩٦٧م
(٣٩) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن محمد) ت ٥٩٧هـ - ١٢٠١م، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط١ ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠
(٤٠) ميزان الاعتدال- الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان بن علي بن محمد) ت ٧٤٨هـ تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط١، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٣م
(٤١) نظرات في السيرة - (الإمام حسن البنا) ت١٣٤٩هـ. ط١/ ١٩٧٩م، مكتبة الاعتصام.

الفهرس